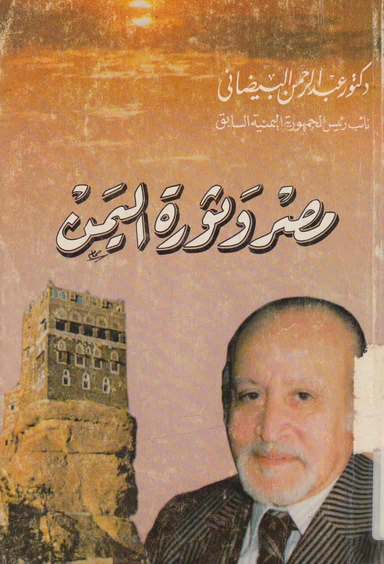

دكتور عبد الرحمن البيضاني
نائب رئيس الجمهورية اليمنية السابق
مصر وثورة اليمن

مصر وثورة اليمن

دكتور عبد الرحمن البيضاني
نائب رئيس الجمهورية اليمنية السابق

الطبعة الثانية
فبراير ١٩٩٣

■ مصر وثورة اليمن

الغلاف : تصميم المؤلف
الطبعة الأولى
يناير عام ١٩٩٣

طبع بمطابع دار المعارف بالقاهرة

□ مراسلات المؤلف :
ت ٣٥١٠٤٣١ فاكس ٣٥١٥٥٤٤
صندوق بريد (٥٧١) المعادى - القاهرة

التوزيع فى الداخل والخارج :
وكالة الأهرام للتوزيع
شـارع الجـلاء - القـاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

الى الذين ..

يحبون للناس ما يحبون لأنفسهم ..

ولا يغتصبون لأنفسهم حقوق الناس ..

عبد الرحمن البيضانى



تمهيد

شاء القدر أن تكون مصر عبر المئات من السنين منارة الحضارة العربية والإسلامية . وأن يكون شعب اليمن أحد الشعوب التى تحررت ثم تطورت بفضل هذه المنارة الحضارية المصرية .

هذا الكتاب صفحة مختصرة من الصفحات المشرقة فى التاريخ العربى المعاصر ، صفحة تتغنى بإسم مصر ، وبموقعها المتألق فى الضمير اليمنى ، المنفرد بصدارة الوجدان العربى .

أما إذا أخطأت أية حكومة يمنية ، وهى ثمرة فى شجرة النهضة اليمنية ، التى شاركت التضحيات المصرية فى غرسها ثم ريها ، فتنكرت هذه الحكومة لهذه الشجرة الطيبة ، التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، فحسابها على شعب اليمن العريق ، الذى يستغفر لأبنائه ، الا من يخون الصديق ، الذى يفتديه فى وحشة الطريق .

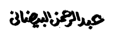
إقتصر هذا الكتاب على المواقف السياسية والعسكرية ، العربية والدولية ، التى صاغت العلاقات اليمنية المصرية ، حين مهدت لقيام الشعب اليمنى بثورته على تخلف الإمام وإستعمار الإنجليز . تلك المواقف التى تطورت وهى تشد من أزره بينما ينطلق إلى حضارته الحديثة .

هذا الكتاب لا يتضمن أرقاما عسكرية ولا مالية تحملتها مصر وهى تساند الشعب اليمنى على الخروج من كهوف العصور المظلمة . فالأرقام لها ثقاتها المصريون ، الذين يعرفون عنها مالا أعرف ، وما لا ينبغى أن أرهق به التاريخ إذا ما خرجت عن حديث الوثائق ، ورويت من معين الذاكرة التى قد تخون ، أو سياق المنطق الذى قد لا يصدق .

أسجل شكرى للإديب الأستاذ صلاح منتصر رئيس تحرير مجلة أكتوبر الذى إتسع صدره فأتاح لمقالاتى الثمان أن ترى النور على صفحات هذه المجلة الغراء وهى تحكى بإختصار ، وعلى قدر المساحة المتاحة ، قصة مصر وثورة اليمن بمناسبة عيدها الثلاثين .

فى مقدمة هذا الكتاب .
تحدثت عن شمعة من شموع المنارة المصرية .
شمعة لفتت عيون أبى من اليمن .
فجاءت به إلى مصر .
ثم أضاءت طريقى إلى المعرفة .
فأرجعتنى إلى اليمن .
أحمل إليها شمعة من مصر ..
شمعة لا تنطفىء .

١٥ يناير ١٩٩٣



مقدمة

١

ولد أبى ، عبد ربه أحمد عبد الله البيضانى ، فى قبيلة مراد وأمضى طفولته فى مدينة البيضاء شرق اليمن .

كان يصغى ، كغيره من أطفال اليمن ، إلى قصص وروايات التجار الذين يجوبون الأرض بين مصر والشام من جهة ، وفارس والهند وجنوب شرق أسيا من جهة أخرى ، وهم عادة يحطون الرحال فى عدن وحضرموت وبعض بلاد جنوب وشرق اليمن .

أجمعت القصص والرويات على ازدهار العلوم وارتقاء مستوى المعيشة فى تلك الدول ، وبصفة خاصة فى مصر حيث الأزهر الشريف منارة الحضارة الإسلامية وقلعة الانتفاضات السياسية .

كان أبى دائم الحوار مع عمه بعد أن مات والده وأكمل حفظ القرآن قبيل التاسعة من عمره .

وكانت اسئلته لا تخرج عن أسباب النهضة التى سمع عنها خلف البحر (يقصد مصر) وأسباب التخلف فى وطنه (يقصد اليمن) . وهل يتقن المصريون فى طلب الرزق وسائل

لا يعرفها شعب اليمن ، أو ان أرض اليمن أقل من بقاع الأرض ؟ .

كان يحاول أن يعرف أسباب ضعف اليمن وعجزها وانهيار مجدها الذى عرفه فى القرآن الكريم ، وقرأه فيما وصل إلى يده من كتب التاريخ ، ووقر فى أذنه من أحاديث الرواة .

وكان يسخر من نفسه ومن أبناء جيله الذين لا يفخرون ألا بماضيهم . ينثرون عليه نوافح الزهور ، وعرائس الأفكار والأشعار ، ولا يغنمون من حاضرهم بغير أنياب الوحوش ومواكب البؤس ، والحزن ، والألم ، والحسرة .

رحل مع إحدى القوافل إلى عدن ثم وصل إلى مصر مع زملاء من اليمن يطلبون العلم فى الأزهر الشريف . وكان ذلك سنة ١٣٢١ هجرية ، ١٩٠٢ ميلادية ، وكان عمره قد أكمل التاسعة .

انقطع للدراسة فى الأزهر حتى حصل على شهادة الأهلية الأزهرية سنة ١٣٢٩ هجرية ، ١٩١٠ ميلادية تحت رقم مسلسل ٦٩٢ ، بينما زاول بعض زملائه من اليمنيين أعمالا تجارية بين مصر وعدن إلى جانب الدراسة التى تركوها فيما بعد عندما راجت تجارتهم حتى أصبحوا فى ذلك الوقت من كبار رجال التجارة فى مصر ، وكان من بينهم الشيخ سالم عمر باجنيد والشيخان سالم وسعيد بازرعه .

أما الذين واصلوا الدراسة فى الأزهر فكان من بينهم الشيخ أحمد بن سلم والشيخ على حريبى والسيد محمد الأهدل شيخ رواق اليمن بالأزهر فيما بعد .

ثم حصل أبى على الشهادة العالمية للغرباء عام ١٣٣٤ هجرية ، ١٩١٥ ميلادية تحت رقم مسلسل ٣ وكان قد تعرف فى الأزهر على زميل مصرى صادقه طوال سنوات الدراسة فتزوج من شقيقته فى ١١ يونية سنة ١٩١٧ وهى أبنة أحد علماء الأزهر (الشيخ عبد الخالق وهبه) ثم كان مولدى يوم ٩ أغسطس سنة ١٩٢٦ بالقاهرة .

وكان مولدى منعطفا حاسما فى مسار الآمال الكبار التى كانت تراود خيال أبى .

فبعد أن كان قد تهيأ للعودة إلى اليمن ليعمل هناك حاكما شرعيا فى أحد الأقاليم اليمنية تنفيذا لأمر صدر إليه من الإمام يحيى حميد الدين إمام اليمن فى ذلك الوقت ، بدأ يشفق على نفسه إذا ما عاد بى إلى اليمن طفلا لا يجد كغيره من أطفال اليمن مكانا يتلقى فيه العلم فى وطنه .

تمهل فى سفره إلى اليمن واعتذر للإمام يحيى واشتغل محاميا شرعيا ، وكانت شهادة العالمية للغرباء تعطى صاحبها الحق فى مزاولة مهنة المحاماة أمام المحاكم الشرعية ، دون أن تكسبه الحق فى تولى منصب القضاء الشرعى الذى كان وقفا على المصريين الذين يحصلون على نفس هذه الشهادة العالمية بغير لفظ (الغرباء)[1] .

أفرغ أبى كل طاقته فى تلقينى الكثير من ألوان المعرفة ، إلى جانب ما ورد فى مناهج الدراسة النظامية فى المدرسة ، وكان قد

(١)راجع صفحة ٤٠

ألحقنى بمدرسة التجارة المتوسطة بالظاهر رغبة فى أن أحصل على أسرع شهادة ولو متوسطة أعود بها معه إلى اليمن حيث كان صادق الولاء للإمام يحيى ، الذى طرد الأتراك من شمال اليمن وواصل الجهاد لطرد الانجليز من جنوبها .

كان أبى يملأ فراغ الوقت ، عندما يجد ثمة فراغا ، بالحديث عن اليمن ، عن ما ضيها السعيد وحاضرها البائس ، ويلوم أبناء اليمن الذين تركوا أمجادهم تنهار فوق رءوسهم ، وفى سمعهم وبصرهم ، عبر السنين العجاف ، ولم يصنعوا غير الاستسلام للضياع ، حتى أصبح تقليدا يمنيا مستمرا ، وتراثا تاريخيا متأصلا فى نفسية المواطن اليمنى وشخصيته ، على مر السنين والعصور . ولعل أبى كان يسخر من نفسه ومن أبناء وطنه عندما كان يردد على مسامعى أن أهل اليمن ربما لم يسمعوا عن قوله تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) أو أنهم إذا كانوا قد سمعوه فإنهم لم يفهموه ، أو أنهم لم يشاءوا أن يفهموه حتى لا يثقلوا على أنفسهم بمشقة التفكير فى التغيير .

كانت عادة اليمنيين الأصدقاء فى القاهرة أن يلتقوا يوميا على طعام الأفطار فى بيت كبيرهم وشيخهم السيد حسن البار فى العباسية ، الذى كان عميدا للهاشميين فى مصر ممن كانوا من أصل يمنى . والهاشميون هم الذين ينتسبون إلى بنى هاشم ، من سلالة الرسول ﷺ وكان السيد حسن البار زوج شقيقة زميلهم الشيخ سالم عمر باجنيد الذى أصبح من كبار التجار فى مصر ، بل كان أكبر من يستورد البن الصافى من اليمن والصابون النابلسى من الشام .

بعد تناول الأفطار ينصرف كل منهم إلى عمله .

وكان هؤلاء الأصدقاء يقضون جميع أمسيات رمضان فى نفس هذا المكان بعد صلاة التراويح ، يقرأون القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة كما وردت فى صحيح البخارى . وكان أبى من أحرص الملتزمين بحضور اجتماعات الأفطار صباح كل يوم واجتماعات القرآن والبخارى فى أمسيات رمضان . ولعله كان أكثرهم تخصصا فى الفقه الإسلامى وفهما لأسرار اللغة العربية ، أو كان الوحيد من بينهم الذى تخرج من الأزهر ونال شهادة العالمية للغرباء ، متفوقا فى البلاغة والبيان ، ممسكا بأسرار اللغة العربية إلى جانب العلوم الإسلامية ، فكان هو الذى يتصدى من بينهم لتلاوة صحيح البخارى وشرح الأحاديث النبوية الشريفة ، وكان يعقب ذلك حوار بين الحاضرين يشدهم إلى الحديث عن اليمن وأحوال اليمن ، ولذلك كان حريصا على أن يصحبنى معه إلى هذه الجلسات الدينية اليمنية .

تعلمت الكثير مما سمعت فى هذه الجلسات .

سمعت السيد حسن البار صاحب الدار وعميد الهاشميين اليمنيين المقيمين فى مصر ، فى مناسبة وغير مناسبة ، يقول أنه قد ورد عن النبى ﷺ أن الناس جميعهم سنواء وأنه (لا فرق بين عربى وعجمى إلا بالتقوى) وكان يحلو له أن يتلو ، ضمن ما يتلو ، الآية الكريمة (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شىء عليما) .

لعله كان يستشعر حرجا من لقب السيد الذى يسبق اسمه ، أو كان يشفق على نفسه من عمادة الهاشميين اليمنيين فى مصر ، وكان يطلب من أبى أن يشرح معنى التقوى التى

ترجح عند الله فضل المسلم على المسلم .

وكان الرجل مثالا عظيما للتقوى ، ونموذجا فريدا للصلاح ، وكان قدوة حسنة فى التواضع .

جعلت أعشق الرجل ، وأخذت أفخر بأهل البيت وأهتف من أعماقى لسلالة النبى ، غاضبا أشد الغضب على عائشة بنت أبى بكر وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وغيرهم من الذين جاهدوا الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه وظاهروا عليه معاوية بن أبى سفيان وزرعوا أول بذرة للخلاف والصراع بين المسلمين .

كان حنين العودة إلى الوطن يسيطر على مشاعر الحاضرين عندما يصلون إلى الحديث عن اليمن ، ويتبادلون الأخبار التى تصل عنها أو منها ، وكانوا يتسابقون إلى ذكر أمجادها التاريخية وماضيها العريق .

عرفت منهم أن اليمن كانت أول بلد فى العالم يشيد على أرضه العمارات ذات العشرين طابقا التى كان يشيدها المهندسون والعمال اليمنيون منذ الآف السنين ، على نحو ما تغنى به المؤرخ الهمدانى ، وأنه عندما توافدت على الرسول الكريم مواكب الشعب اليمنى تعلن ايمانها بالله قال رسول الله (الله أكبر جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن هم أرق قلوبا وألين أفئدة ، الإيمان يمان والحكمة يمانية) .

عرفت من أبى ورفاقه أن رجال اليمن كانوا فى طليعة الجيوش الإسلامية التى عمرت الأرض بعدئذ بالإيمان

والعدالة والمساواة ، وأن الأغلبية الساحقة من جيوش عمرو بن العاص التى فتحت مصر كانت من رجال اليمن ، وكذلك أغلبية جيوش معاوية التى فتحت الشام ، وأغلبية جيوش عبد الرحمن الداخل التى فتحت المغرب ، وأن الجيوش اليمنية قد واصلت نشر الإسلام حتى وصلت فى عهد عبد الملك بن مروان وبنيه الأربعة إلى أسبانيا وجنوب فرنسا غربا ، ثم إلى الهند وتخوم الصين شرقا ، وأنه كان من بين القادة اليمنيين المشهورين أمير الأندلس السمح بن مالك الخولانى فاتح قرطبة ومؤسس الإمارة فيها سنة ٩٨ هجرية ، وعبد الرحمن الغافقى العكى اليمانى بطل الفتح الإسلامى فى أسبانيا سنة ١١٢ هجرية ، كما تشهد على ذلك قلعة همدان فى قرطبة وقلعة خولان فى غرناطة وقلعة يحصب فى اشبيلية .

عرفت أيضا أن القبائل التى تسكن مصر فى محافظات الشرقية والبحيرة والصعيد والإسكندرية كلها من القبائل اليمنية ، وإنه لا تزال أسماء بعض العائلات المصرية تحمل أصلها اليمنى أمثال عائلات عبس ، وخولان ، وعامر ، وبنى مر ، وجهينة ، وعلام ، وعبيد ، وسالم .

كان ذلك بعض حديثهم عن أمجاد اليمن وماضيها العريق ، وكانوا يطربون له ، وينتشون منه ، ثم لا يملكون أنفسهم من الحسرة وهم يرثون حاضرها البائس المظلم ، وينعون مستقبلها الأسود الكئيب .

وأذكر أن حديثهم عن حاضرها البائس المظلم كان يتصدر الحديث كله ، وهم كغيرهم من أبناء اليمن الذين عرفوا الحياة

خارج أسوارها لا يستطيعون أن يمسكوا أنفسهم عن ذكر ذلك الحاضر البائس المظلم .

كنت استغرب كل ما أسمعه عن اليمن ، وكنت استوعب كل ما يقال عنها ، وكان الجميع يتبارون فى وصف ما يسود فيها من ألوان التخلف والظلم والطغيان .

كان أبى يقول أن أرضنا ليست أقل من بقاع الأرض ، وعقولنا ليست قاصرة عن عامة العقول ، وكان يتساءل عن سبب ضعفنا وعجزنا وفقرنا وانهيار مجدنا ، هل كان أجدادنا خيرا منا ؟ فأصبحنا لا نفخر إلا بالماضى ، ننثر عليه نوافح الزهور ، وعرائس الأفكار والأشعار ، ثم لا نغنم من الحاضر بغير أنياب الوحوش ومواكب الحزن والألم والحسرة ؟

كان أبى يتساءل لماذا تخون الدنيا ويقبح الوجود الجميل ؟ ولماذا يصمت الروض الغرد وينزوى الشعب الأصيل ، فإذا بنا وليس لنا حاضر نسعد به ، ولا مستقبل نتمناه ولا حلم ولا أمل ولا رجاء .

هل تحامل على مجدنا عدل القدر ؟ أم تواطأ على بلدنا ظلم البشر ؟ أم تقاعسنا حيث يجد الناس وتواكلنا حيث تنهض الأمم ؟

كان أبى يحلم باللحظة التى نستطيع فيها أن ننفض عن أنفسنا غبار الزمن ، ونصحو من غفوة الدهر ، كى يضحى تثاؤبنا زئيرا ، ويأسنا بأسا ، فتصبح أمالنا حقائق . وعندئذ .. تتذهب الشمس .. تتغير طلعتها ويتبدل غروبها .

وهى تطلع فى اليمن ، ولا يحفل بطلوعها انسان ، وتغرب ولا يأتى غروبها بغير الظلمة واليأس والحرمان .

كنت التقط هذه الكلمات بالذات ولا أنساها .
كانت تنزل على قلبى كالصواعق .

أصابتنى بجرح أدمى خيالى ، لكنه زرع فى أعماقى كل أمالى .

خيالى كان محصورا فى العودة إلى وطنى كما غرس أبى فى نفسى ، أما أمالى فكانت لا نهائية .. وهى تصور لى مكانتى عندما أتم تعليمى فى مصر وأعود إلى اليمن ، واشترك مع أبناء وطنى فى العمل على استعادة أمجادنا التاريخية ونحن نضع معا حجر الأساس فى بناء نهضتنا الحضارية .

تعلمت كثيرا فى هذه الجلسات اليمنية الدينية اللغوية ، وكان أبى أثناء عودتنا إلى بيتنا كل ليلة يسألنى عما عرفت عن اليمن وحفظت من الآيات والأحاديث ، وما تعلمت من الشرح وما تلاه من حوار ، وكان يتوقع أن أتلو عليه ما سمعت كله ، لا ينقص منه شيء .

وأغلب ظنى ان اندماجى مع سيرة النبى ﷺ وشوقى لمتابعة سيرة اليمن قد غرسا عندى منذ نعومة أظافرى عادة التركيز المستغرق عند الاستماع ، الذى يغوص فى ذاكرتى ، حتى صرت قليل النسيان . والحمد لله .

مع ذلك .. كان أبى عظيم الحسرة لأننى كنت قد بلغت الثانية عشرة من عمرى ولم أحفظ القرآن كله كما يفعل غيرى

من أبناء عمرى سواء فى اليمن أو فى مصر ، وكان أبى قد حفظ القرآن كله ولم يكن قد بلغ التاسعة من عمره ، وكان لا يزال فى اليمن .

اتجه أبى إلى استكمال ثقافتى الدينية واللغوية .

أما الثقافة الدينية فكان يتولاها بنفسه سواء فى البيت أو فى الجلسات الدينية الرمضانية عند السيد حسن البار ، وأما الثقافة اللغوية فقد اتفق مع صديقه وزميله من الأزهر الشيخ أحمد عياده على أن يستأجرا مدرسا أزهريا ، يقوم بتعليمى مع صديقى وزميلى خالد ابن الشيخ أحمد عياده منهاجا لغويا شاملا يفوق منهاج اللغة العربية فى المدرسة التى كنا ندرس فيها .

هذا المدرس الأزهرى كان خفيف الظل ، وكانت له جاذبية خاصة تصهر خيال التلاميذ فى روحانية الدرس ، فتجعل الدروس المعقدة تنساب فى يسر وتتدفق فى رفق ، متجهة فى سهولة إلى عقولهم التى تكون قد تهيأت لاستيعابها منذ أول لقاء معها .

زميلى خالد أصبح الآن الدكتور خالد أحمد عياده من كبار أطباء العيون فى مصر ، كما وصل والده إلى منصب رئيس المحكمة العليا الشرعية .

وذات يوم .. توفى أبى فجأة أثناء تناول الإفطار كعادته مع أصدقائه فى بيت السيد حسن البار ، فحمله أصدقاؤه إلى بيتنا فى حدائق القبة ، وكنا نستعد فى ذلك اليوم لاستقبال خالى وصديق أبى الحميم وزميله فى الأزهر بمناسبة وصوله منقولا للعمل فى القاهرة .

وكان أبى قبل أن يترك بيتنا فى ذلك الصباح قد أشرف بنفسه على إعداد حديقة البيت ، وذبح الكبش الذى كان قد أعده لوليمة الأحتفال بقدوم خالى .

وصلت إلى باب بيتنا سيارة السيد حسن البار ونزل منها أصدقاء أبى اليمنيون فتصورت أنه قد دعاهم لقضاء ذلك اليوم فى حديقة بيتنا إنتظارا لوصول خالى الذى كان أيضا صديقهم وزميلهم فإذا بهم يحملون أبى بين أحضانهم .

لم أفهم ماجرى ..
ناديت على أبى ولم يرد ..
مسكت ذراعه فسقط منى ..

لم أفق من الصدمة ولم أدرك أنه مات إلا عندما دق أذنى بكاء أصدقائه ، ورأيت دموعهم تغسل خدودهم ، فهو رفيق رحلتهم من اليمن وأديب هجرتهم فى مصر ، الذى عاش معهم ، ومات بينهم ، وحملوه بين أحضانهم .

كان ذلك صباح ١٣ يناير سنة ١٩٤٠ وكنت أناهز الرابعة عشرة من عمرى .

مات الأب الذى كان يعلمنى ، ويثقفنى ، وينتظرنى ، حتى أعود معه إلى اليمن .

مات الداعية الذى دعانى إلى أن أهب حياتى من أجل اليمن ، الذى زرع فى قلبى الإصرار على المشاركة فى النهوض بها ، الذى استمر طوال عمرى ومنذ نعومة إدراكى يشعرنى بأنه غريب فى مصر ، رغم ما يحيطه من مشاعر الود وأواصر الحب وعظيم الفضل

وبالغ الكرم ، وغير ذلك من خصائص الشعب المصرى الأصيل .

كانت أمى وأسرتها المصرية تقدر ما يجول بخاطر أبى ويسيطر على وجدانه ويصوغ تصرفاته ، ويضبط إيقاع حركاته وسكناته ، وهو أن أعود معه إلى اليمن عندما أكمل دراستى ، وكانت أمى سعيدة بالسفر معه إلى حيث يشاء ، فهو الزوج الذى عاشت معه ثلاثة وعشرين عاما ، قضتها على أفضل ما تكون العشرة الزوجية .

لا غرو إذن .. إن هى استمرت فى شحن مشاعرى وخيالى وأمالى بالعودة إلى اليمن ، حتى بعد أن مات أبى ، وكانت تعتبر ذلك تجسيدا منها لترحمها عليه ، وتعبيرا عن وفائها له ، وإعلانا عن إقتناعها به ، وكانت ترى صورتها فيه .

وهو الرجل الذى رعى الله فيها .

٢

بدأت أتدبر حالى ..
ماذا أفعل بعد موت أبى ..

أخذت أتذكر كلماته الكبار عن اليمن ، وأحاديث أصدقائه اليمنيين عن أحوالها ، وكيف يعانى أهلها من التخلف والإرهاب والظلم والطغيان ، خلف جدران سجن كبير له أسوار عالية يسمونها حدود اليمن .

لماذا كان أبى يحلم بالعودة إلى هذا السجن الكبير ؟ ولماذا أراد أن يقودنى معه إلى خلف قضبانه العالية ؟

هل ضاقت به الدنيا فى مصر ؟
لم تضق بل اتسعت له على مصراعيها فكان أبى ناجحا فى مهنة المحاماة ، أعطاه الله الفصاحة والبيان والحجة ، وكان مجدا فى طلب الرزق ومشى فى مناكبها وأعطاه الله من رزقه ، كما لم يعط الكثيرين من المحامين الشرعيين .

إذن .
لم ينذر نفسه للعودة إلى وطنه لاهثا وراء رزق ، أو ساعيا وراء جاه .

وإنما نذر حياته كلها للعودة إلى خلف قضبان ذلك السجن الكبير ، الذى كان يسميه الوطن الغالى ، لا ليعيش فيه سجينا مكبلا بأغلال التخلف وقيود الخرافات كغيره من أبناء وطنه ، وإنما من أجل أن يشترك مع المصلحين اليمنيين فى الدعوة إلى تحطيم هذه القضبان ، وتحرير الشخصية اليمنية وميلاد المستقبل الأفضل .

تذكرت وصفه لذكاء وقدرة الشعب اليمنى وطاقاته الخلاقة التى تستطيع أن تستعيد أمجاده التاريخية ، وهو صانع أول حضارة اعترف بها العالم وتحدث عنها القرآن الكريم .

أخذت أتأمل وصف أبى لذكاء الشعب اليمنى وطاقاته الخلاقة بينما كان ، كما اعترف أبى وزملاء أبى وأجمع الرواه ، مستسلما لشريعة الغاب ، راقدا تحت أطلال التاريخ ، يبتسم لسيوف الطغاه ويهتف بحياة الجلادين .

فإذا كان الشعب اليمنى ذكيا ذا طاقة خلاقة ، كما قال أبى فلماذا يركع تحت أقدام السفاحين ويرضى بدفن عقول أبنائه فى مقابر الكتب الصفراء التى تقدس الحكام وتفرض الجمود فتحطم عقارب الزمن ؟.

لم أكن قد سألت أبى عن أسباب التخلف فى اليمن ، ولم أسمع شيئا عن أمر هذه الأسباب أثناء الاجتماعات الدينية الرمضانية ، وفاتنى أن أعرف منه ومن أصدقائه كيف يتفق وصف الشعب اليمنى بالذكاء والطاقة الخلاقة مع استسلام نفس هذا الشعب للحياة على ذلك النحو المتخلف ، الذى كاد أن يتفرد به من بين شعوب الأرض .

هل هو الأفراط فى حب الوطن قد أملى على أبى أن ينسب الذكاء والطاقة الخلاقة إلى أهل بلده .

لعلى أخطأت فى حقه عندما سألت نفسى هذا السؤال ، لأن حب الوطن ليس فيه افراط قط ، فالوطنية مشاعر لا نهائية .

ربما أسهب أبى فى مدح صفات الشعب اليمنى إثارة للروح المعنوية التى ينبغى أن تسود مشاعر اليمنيين حتى تنطلق الدعوة إلى حياة يمنية أفضل .

مهما كان الأمر ، وجدت نفسى بعد موت أبى فى حيرة من أمرى ، وجدت نفسى وحيدا فى التفكير والتأمل والتساؤل ، وكان لزاما علىّ أن أبحث بنفسى عن جواب سؤالى .

ساقنى تساؤلى إلى البحث هل الإنسان مجبر أم مخير ؟ فإذا كان الله قد أجبر الإنسان اليمنى على النوم فى سبات الحياة المتخلفة ، إذن لا أمل فى إيقاظه من هذا التخلف ، أما إذا كان الإنسان اليمنى ، كأى إنسان ، مخيرا يستطيع أن يختار ما يشاء من اشكال وأنماط حياته فعندئذ يمكن إيقاظ الشعب اليمنى ليبحث بإرادته عن أشكال وأنماط حياة أفضل بعد تبصيره بخطئه عندما رضى بحياته المتخلفة ، وتشبث بها دون سواها ، وكأنه اختارها دون غيرها .

وجدت نفسى شغوفا متطلعا إلى معرفة ما إذا كان الإنسان مجبرا أم مخيرا .

كان التوصل إلى إجابة هذا السؤال يمثل عندى حاجزا نفسيا توقفت عنده كل أمالى واحلامى ، إذ كيف يأمل الإنسان

فى أمر لا يمكن عقلا أن يحققه ، طالما قد فرض الله عليه غيره .

كان الأقرب إلى عقلى أن الإنسان مجبر وليس له أن يختار ما يريد وهذا ما يفسر وصف أبى للشعب اليمنى بالذكاء والقدرة الخلاقة مع استسلام نفس هذا الشعب لإنهيار مجده ، وتحوله إلى قصة تتسلى عليها الأمم ، ويتندر بها الظرفاء . وتسخر منها الضمائر .

انشغلت عن الدراسة فى المدرسة وأخذت أتردد يوميا على دار الكتب المصرية فى باب الخلق بالقاهرة وأخذت أقرأ فى أمهات كتب العلماء الذين بحثوا مسألة الجبر والاختيار . أمضيت سنتين ذاهبا كل يوم إلى دار الكتب متشبثا بسؤالى ، عائدا منها كل يوم بغير جواب . لأن علماء المسلمين مختلفون .

ومهما كان الحال لقد استفدت كثيرا من هذه القراءات والأبحاث الفلسفية والإجتهادات الفقهية بفضل ما تلقيت عن أبى وزملائه فى الاجتماعات الدينية ، وما تعلمت من المدرس الأزهرى المفرط فى قدرته على شد انتباه التلاميذ .

بينما كنت أفكر فى هذه الأمور ، متأملا أسرار الكون ، مشتاقا إلى فهم ألغاز الحياة . حياة الإنسان ، حياة الأمم والشعوب ، مستغرقا فى تصور ماذا كان قبل الحياة ، وماذا يكون بعد الموت ، إذا بعينى تقع على دودة حرير كانت تتسلق على غصن يتدلى من أغصان شجرة التوت التى زرعها أبى فى حديقة بيتنا .

تذكرت أن هذه الدودة كانت بيضة قبل أن تكون دودة ، وأنها سوف تنسج من حولها شرنقة الحرير كى تستقر فيها أياما معلومات ، ثم تخرج منها فى هيئة أخرى ، إذ تخرج منها فراشة تطير بجناحيها بعد أن كانت دودة تزحف على أقدامها .

وهى حين تخرج فى هيئتها الجديدة فإنها تترك من ورائها وفى شرنقتها جثتها التى شكلت هيئتها السابقة عندما كانت دودة .

نحن البشر نشاهد هذه الأطوار ونتأملها ، ونكاد لا نستخلص منها الدرس المفيد والموعظة الحسنة ، ولا نروى عنها الحجة الدامغة والبرهان القاطع .

إننا البشر نشهد أن بيضة دودة الحرير ذات شكل مستدير وحجم صغير .

ونشهد أنها تتحول إلى دودة تمشى على الأرض .

ثم نشهد أنها بعد ذلك تصبح فراشة تطير فى الهواء .

ونشهد أيضا أنها تترك جثتها ترقد فى قبرها الذى يسمونه شرنقة الحرير .

ثم لا نستطيع أن نشهد ما كان من أمرها قبل ذلك ، ولا ما يكون من مصيرها بعد ذلك .

تقف عقولنا عند هذه الحدود ، لا تتجاوزها أو تقفز من فوقها .

لا نعلم من أمر الفراشة شيئا عندما تتحول إلى هيئة أخرى ، لا نعرفها لأننا لا نشاهدها ، يسمونها موتا وقد تكون

فى الحقيقة طورا أخر من أطوار خلقها .

لماذا نبحث عن أصل الإنسان قبل أن يولد ونختلف على مصيره بعد أن يموت ؟ شأنه فى ذلك شأن دودة الحرير حين تدفن نفسها فى قبرها الذى يسمونه شرنقة ثم تخرج منه فراشة تناسقت فى ألوانها .

لماذا نجهد أنفسنا ونجهد عقولنا ، تائهين لا هثين ونحن نبحث عن حقائق لا تدركها عقولنا ، ليس عجزا منها ولا قصورا فيها ، وإنما لأنها بحكم كونها عقولا مخلوقة فإنها ذات طاقات محدودة ، لا تستطيع أن تتجاوزها أو تقفز من فوقها ، لأن الذى خلقها قد رسم لها حدودها ، حتى لا يفسد نظام الكون عندما يستوى الناظم بالمنظوم ، أو يختل كيان الخلق عندما يستوى الخالق بالمخلوق .

إذن ، لا علينا إذا لم تصل عقولنا المخلوقة إلى ما كان قبل الخلق الذى نعرف هيئته . وماذا يكون بعد الخلق الذى لا ندرك أسراره . فنحن البشر المخلوق لا نحيط بشىء علما إلا بما شاء الخالق أن نحيط به من الحقائق .

ومن هذه الحقائق أننا ، ونحن على هيئة الخلق التى نعرفها ، مطالبون باتباع ما أمر به الخالق والامتناع عما نهى عنه .

ونحن لا نتبع ولا نمتنع إلا إذا أتاح لنا الخالق قدرة الاتباع وقدرة الامتناع ، ثم أتاح لنا إرادة اختيار القدرة التى تتبع والقدرة التى تمتنع .

لذلك خلق الله فى الإنسان القدرة والإرادة لقصد أراده الله سبحانه وتعالى ، ليكونا موضع التكليف ومناط الجزاء ، وشرطا لنسبة الأفعال إلى الإنسان المكلف .

لكنه عندما يختار الإنسان فإنه لا يخرج عن دائرة علم الله الذى سبق أن خلقه .

إذن .. الإنسان لا بد أن يكون مخيرا .
وإن الله لا يمكن أن يكون قد فرض على شعب اليمن الفقر والتخلف والحياة تحت الظلم والطغيان والجبروت .

لابد حينئذ ، من أن تكون هذه الظروف اليمنية المتخلفة قد اختارها وأرادها شعب اليمن جيلا من بعد جيل ، فى نطاق علم الله الذى منذ الأزل يعلم أن شعب اليمن سوف يختار هذه الظروف بعينها ، طوال زمن لا نزال نجهل مداه ، ولا نعرف منتهاه ، بينما يعلمه الله قبل أن يخلق شعب اليمن .

عندما وصل ، عقلى الصغير ، إلى هذه الحقيقة البديهية ارتاح فؤادى وأطمأن قلبى على شعب اليمن ، وكانت البشرى التى شرحت صدرى لمستقبل اليمن ، لاننى آمنت بأن شعب اليمن الذكى ذا الطاقة الخلاقة يمكنه أن يخطو إلى النهضة والحضارة عندما يختار ويريد النهضة والحضارة .

وهو لا يختار ويريد هذه النهضة والحضارة إلا إذا بصره المصلحون بأحواله القاسية التى يعيشها ، مقارنة بأحوال الأمم الأخرى التى أزدهرت ونهضت وتطورت ، وأطلعه المصلحون على تحليل الأسباب التى أوجدت هذه الأحوال

القاسية وفرضتها عليه فاستسلم لها ، ثم لا تقف رسالة المصلحين عند هذا الحد ، بل يجب أن تتعداه إلى طرح مضمون الفجر الجديد ، فجر النهضة والحضارة .

والنهضة والحضارة ليست كلمات تلقى إلقاءً عابرا فى معرض الحديث عن سيرة الأمم ، وإنما هى مناهج لمقومات جديدة تنبثق من ظروف كل أمة من بعد أن تستفيد قدر ما تستطيع مما وصل إليه العلم وبلغه التطور .

زاد يقينى واعتقادى أن دراستى فى مدرسة التجارة المتوسطة لا تمكننى من الاشتراك مع المصلحين من أبناء وطنى ، لأن إصلاح اليمن ، كغير اليمن ، يحتاج ألى دراسات مستفيضة فى العلوم التاريخية والنفسية والفلسفية إلى جانب دراسات متخصصة فى العلوم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . وشىء من ذلك لا يمكن تحصيله فى مدرسة التجارة المتوسطة التى كنت قد تركتها منذ سنتين أو يزيد .

كان لابد من السعى إلى الالتحاق بالجامعة المصرية ، وبكلية الحقوق بالذات ، الأمر الذى يشترط أن يسبقه التحاقى بمدرسة ثانوية كى أحصل منها بعد أربع سنوات على شهادة الثقافة العامة ، وبعد سنة أخرى أحصل على شهادة التوجيهية (الثانوية العامة الآن) . وبغير ذلك لا يمكن أن التحق بالجامعة المصرية أو بغيرها من الجامعات .

كنت فى عجلة من أمرى ولم أطق الانتظار خمس سنوات أخرى حتى ألتحق بالجامعة المصرية فأخذت أبحث عن وسيلة أختصر بها هذه السنوات الخمس .

نصحنى أحد الأصدقاء بأننى فى وسعى أن أتقدم فى نفس تلك السنة لأداء الامتحان للحصول على شهادة الثقافة العامة نظام الأربع سنوات ، أى أن أؤدى الامتحان فى جميع مناهج ومواد سنوات الدراسة الثانوية فى امتحان واحد ، واضعا فى الاعتبار أن نسبة النجاح فى هذا النظام المعروف بنظام الأربع سنوات لا تتعدى نصفا فى الألف ، لاسيما بالنسبة إلى الطلاب الذين يدرسون مناهج السنوات الأربع فى منازلهم ، و الذين لم يسبق لهم أن التحقوا بمدرسة ثانوية قط .

فرحت بهذه النصيحة وسجلت اسمى فى إدارة الامتحانات العامة كطالب (من منازلهم) وكان ذلك فى شهر مارس سنة ١٩٤٥ أى قبل موعد الامتحان بما يقل عن أربعة أشهر ، وكنت قد قررت نهائيا ترك الدراسة فى مدرسة التجارة المتوسطة بعد أن وصلت فيها إلى السنة الثالثة قبل أن أعكف على القراءة فى دار الكتب المصرية .

علم خالى بهذا الخبر وكان ناظرا لإحدى المدارس الثانوية ، فظن أننى قد ضيعت نفسى فى هذا القرار كما ضيعت وقتى فى دار الكتب ، وأنه من المستحيل على مثلى الذى لم يدرس فى أية مدرسة ثانوية أن يستوعب مناهج وعلوم السنوات الأربع فى أربعة أشهر ، وفى البيت وبغير مدرسين ولا معمل للكيمياء .

صممت على رأيى فأمسك بعصاته وهم بضربى ، فهو خالى وزميل أبى رحمه الله وولى أمرى فضلا عن كونه ناظرا لمدرسة ثانوية يعرف أكثر منى نتائج هذه المجازفة .

كان مصرا على إعادتى إلى مدرسة التجارة المتوسطة وأن

التفرغ كلية للدراسة فيها كى أحصل منها على دبلوم التجارة بعد سنة واحدة حيث كنت فى السنة الثالثة .

أبديت أصرارى على عدم إضاعة سنة من عمرى للحصول على شهادة متوسطة لا أسعى اليها ، ولا ينشرح صدرى لها ، وأظهرت عزمى على ألا اضيع يوما واحدا يمكن أن يقربنى من الالتحاق بالجامعة وبكلية الحقوق بالذات .

تدخلت أمى وكانت تصدقنى مثلما كانت تصدق أبى ، كانت تعتبرنى رسالتها فى حياتها وذكراها بعد موتها ، فلم تقتصد جهدا من أجلى إلا بذلته ، ولا طريقا إلى تحقيق حلمى إلا ذللته . كانت لا تنام عندما أسهر متصفحا كتابا لعلى أطلب حاجة تساعدنى على عناء السهر ، فلا يضيع وقتى فيما لا يحسن أن يضيع فيه .

لكن خالى كان أكبر منها سنا ، وأكثر منها علما .
وهى أدرى منه بإصرارى وأعرف منه بعزيمتى .

هى التى سهرت معى وشاهدت حيرتى عندما كنت ، أبكر كل يوم ذاهبا مع كتاب إلى دار الكتب ، ثم أمسى عائدا منها مع كتاب أخر غير الذى رأتنى أسهر على قراءته فى كل ليلة سابقة .

هى التى غاصت فى أعماقى ، وذابت فى مشاعرى ، وأحصت خلجات صدرى ، ونبضات فؤادى .

أخذت تسوق الحجة تلو الحجة حتى اقنعت خالى ليتركنى وشأنى مع دراسة الثقافة نظام الاربع سنوات ، واسترسلت حتى اقنعتنى بألا أترك السنة الثالثة بمدرسة التجارة

المتوسطة التى ، أمام عزيمتى وإصرارى ، لن تستغرق وقتا يشغلنى عن الاعتكاف للدراسة الثانوية ، ولعل الله يوفقنى فى هاتين الدراستين المختلفتين أعظم الاختلاف .

بدأت أتقبل التحدى وأنزل إلى ميدان الصراع ، جمعت كتب المدارس الثانوية من أولها إلى آخرها ، طفت بأصدقائى الذين كانوا يتأهبون لأداء امتحان الثقافة العامة نظام السنة الواحدة حيث كانوا من طلبة المدارس الثانوية المنتظمين .

وجعلت استرق السمع عندما كان بعضهم يتلقى دروسا خصوصية فى المواد الرياضية ، التى لم يكن من السهل على المرء أن يستوعبها من مجرد قراءة مناهجها ومجلداتها ، بغير شرح من مدرس ولا تمرين فى مدرسة .

كنت شديد الحرص على تثبيت فؤاد أمى فلا أنتقص شيئا من ثقتها فى عزيمتى واطمئنانها إلى إصرارى ، ولذلك لم أطلب منها أن تستأجر مدرسا يعيننى على هذه الدراسة التى وصفها خالى بأن النجاح فيها ضرب من ضروب الخيال ، ووصمنى بأننى تركت حقيقة النجاح الممكن وتعلقت بوهم الأمل المستحيل .

أخذت التزم الذهاب يوميا إلى مدرسة التجارة ، وبدأ القلق على مستقبلى يملأ صدرى والاشفاق على نفسى يعتصر قلبى ، لأن وقت المدرسة كان يضيع سدى وينقضى هباء ، دون أن أظفر بأى جديد سوى ألوان متزايدة من شغب الطلاب ، ودرجات متناقصة فى اهتمام المدرسين .

ذهبت الى ناظر مدرسة التجارة المتوسطة الاستاذ مصطفى حسن وأطلعته على ما يثبت تسجيل اسمى ضمن الطلبة المتقدمين لامتحان شهادة الثقافة نظام الاربع سنوات ، وشرحت له أسباب قلقى من ضياع وقتى بالمدرسة بينما كنت فى سباق رهيب مع الزمن ، وتحد حاسم مع النفس ، وعزم أكيد على تخطى العقبات ، وتحقيق ما يدينه خالى مقتنعا بأنه المستحيل ويتشبث به خالى معتقدا أنه الممكن ، لأنه الحلم والأمل والرجاء .

طلبت من الأستاذ الناظر أن يعفينى من نسبة الحضور الى المدرسة فأعفانى منها بعد أن شد على يدى ، ودعا الله أن يوفقنى فيما عزمت عليه ، وإن لم يستطع إخفاء حيرته من أمرى وإعجابه بعزيمتى وصدق مشاعرى .

وفقنى الله إلى النجاح فى مدرسة التجارة المتوسطة وانتقلت إلى السنة الرابعة ، سنة الحصول على الدبلوم ، وعندما ظهرت نتيجة امتحان الثقافة العامة كنت والحمد لله من الناجحين .

كانت فرحة أمى ليس لها حد ، ودهشة خالى ليس لها وصف . أما أنا فقد حمدت الله جلت قدرته ، وبدأت أشعر بأننى أسير فى الطريق الصحيح ، طريق العودة النافعة إلى اليمن .

فى السنة التالية (١٩٤٦) حصلت على دبلوما التجارة المتوسطة وشهادة التوجيهية فى نفس الوقت ، فالتحقت بكلية الحقوق .



لم أجد علوم كلية الحقوق تشغل وقتى كله ، ولم تتضمن أية دراسات عن الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع ، وهى العلوم المكملة للحد الادنى لثقافة من يسعى إلى اصلاح الشعوب ، فالتحقت فى نفس الوقت بالجامعة الامريكية بالقاهرة لدراسة الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع .

كان الدكتور بادو استاذ الفلسفة فى هذه الجامعة من أكثر الذين شدوا انتباهى وملكوا ناصية أذنى ، وهم يثرون عقلى بألوان متعددة من العلوم والمعارف ، ولازلت أذكره عندما ينسى نفسه ويندمج بكل حواسه ، وهو يشرح فلسفة افلاطون ومدينته الفاضلة وهرمه المعكوس وبقية أفكاره السياسية .

كان اليمنيون المقيمون فى مصر قليلين ، لم يتجاوزوا أصدقاء أبى وأولادهم ثم وصل الى القاهرة فى نفس ذلك العام (١٩٤٦) أربعة طلاب من اليمن أرسلهم الامير سيف الإسلام احمد ولى العهد ، فى ذلك الوقت وهم حسين الحبيشى[1] وعلى عبده سيف وعبد العزيز الفتيح[2] وعلى محمد

(١) حاليا المستشار القانونى لرئاسة الجمهورية .

(٢) مدير مكتب اقليمى للأمم المتحدة حاليا .

عبده[1] ، أرسلهم ولى العهد الى مصر ليدرسوا فى المدارس الثانوية .

وكانت الجامعة العربية قد تأسست واشتركت فيها اليمن واصبح لها مندوب فى القاهرة ، فأرسل أصدقاء والدى رسالة إلى سيف الإسلام أحمد ولى العهد بواسطة مندوب اليمن لدى الجامعة العربية ، ينصحون له أن يضمنى إلى أفراد البعثة التعليمية الأربعة ، و كنت فى ذلك الوقت قد التحقت بكلية الحقوق ، ولم يرد على هذه الرسالة لا بالموافقة ولا بالرفض .

وفى ٢٢ سبتمبر ١٩٤٨ قام الانقلاب المعروف بانقلاب عبد الله الوزير ، ثم سمعت عن فشل هذا الانقلاب وإعدام القائمين عليه ، أما الباقون فقد سجن أكثرهم وهرب أقلهم . وكنت قد انتقلت إلى السنة الثانية بكلية الحقوق .

كان الأستاذ زكى محمد غانم يعمل مدرسا أول للغة العربية فى عدن ومندوبا لوزارة المعارف (التربية والتعليم) المصرية ، ووقع اختياره على ثلاثة طلاب يمنيين متفوقين كانوا يدرسون فى المدرسة التى يلقى فيها دروسه فى عدن ، فأوصى الوزارة المصرية بطلبهم إلى القاهرة لالحاقهم بالمدارس الثانوية المصرية . وصلوا إلى القاهرة فى ديسمبر سنة ١٩٤٨ وهم محمد قائد سيف[2] وعبد الغنى على[3] ومحمد أنعم[4]

---

(١) وزير الزراعة فى وقت لاحق بعد قيام الثورة .

(٢) عضو مجلس قيادة الثورة ووزير شئون رئاسة الجمهورية .

(٣) وزير الخزانة عند قيام الثورة .

(٤) وزير التربية والتعليم فى وقت لاحق لقيام الثورة .

واستقبلهم السيد على إسماعيل المؤيد مندوب اليمن لدى الجامعة العربية . ثم توطدت علاقتى الشخصية بهم جميعا وكنت عظيم الإعجاب بميولهم الوطنية حتى نشأت علاقة خاصة بين محمد قائد سيف وبينى لكثرة حديثه عن اليمن وإصراره على الالتحاق بالكلية الحربية المصرية .

وكانت تدرس فى مدارس لبنان بعثة تعليمية يمنية تبلغ نحو أربعين طالبا أو يزيد فأشار القاضى محمد عبد الله العمرى وكيل وزارة الخارجية اليمنية على الإمام أن ينقل هذه البعثة إلى مصر ووافق الإمام ، وكان القاضى محمد عبد الله العمرى من أقرب المقربين إلى الإمام أحمد فقد قتل والده القاضى عبد الله العمرى مع الإمام يحيى والد الإمام أحمد فى نفس سيارته عند قيام الانقلاب فى تلك السنة .

عند وصول هؤلاء الطلبة اليمنيين إلى القاهرة فى مارس ١٩٤٩ أرسلهم القاضى العمرى إلى بنى سويف للدراسة فى الجو الريفى بعيدا عن جو القاهرة السياسى .

وكان من أشهر الطلبة اليمنيين من أعضاء هذه البعثة محسن أحمد العينى[١] وعبد الله الكرشمى[٢] وحسن مكى[٣] وعبدالله جـــزيلان[٤] وعبد اللطيـف ضيف الله[٥] ومحمد

---

(١) رئيس الوزرا؛ فى وقت لاحق بعد قيام الثورة.

(٢) وزير الأشغال عند قيام الثورة .

(٣) رئيس الوزراء فى وقت لاحق لقيام الثورة .

(٤) عضو مجلس قيادة الثورة ونائب رئيس وزراء فى وقت لاحق .

(٥) عضو مجلس قيادة الثورة ورئيس المجلس التنفيذى فى وقت لاحق .

الأهنومى[1] وعلى سيف الخولانى[2] وعبد الرحيم عبد الله[3] ومحمد جبارى[4] ومحمد عبد العزيز سلام[5] ومحسن السرى[6] ومحمد الرعدى ويحيى جغمان[7] .

على أثر وصول هذه البعثة التعليمية إلى مصر أصدر الإمام أحمد أمام اليمن الذى انتصر على انقلاب عبد الله الوزير قبل ذلك بنحو شهرين قرارا بضمى إلى هذه البعثة ثم ضم إليها الطلاب الثلاثة الذين كانوا قد وصلوا من عدن فى ديسمبر ١٩٤٨ (محمد قائد سيف وعبد الغنى على ومحمد أنعم) .

غمرتنى البهجة عندما قرر الإمام أحمد ضمى إلى بعثة الطلبة اليمنيين فى مصر ، وازدادت هذه البهجة عندما قرر السيد على إسماعيل المؤيد أن أعاونه فى عمله وأن اشترك بصفة خاصة فى تدبير شئون الطلبة اليمنيين .

أما فرحتى باللقاء المستمر مع إخوانى أبناء اليمن من الطلبة وأعضاء الوفود الرسمية والزوار والمرضى فقد كانت أجل من كل وصف ، وأسمى من كل تعبير . وإن شئت قلت إننى عاجز عن وصفها بما أتاح الله لى من معرفة باللغة العربية .

---

(١) وزير الداخلية فى وقت لاحق لقيام الثورة .

(٢) وزير الشئون الاجتماعية ثم رئيس الأركان العامة فى وقت لاحق لقيام الثورة .

(٣) عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الطيران .

(٤) وزير الاقتصاد فى وقت لاحق لقيام الثورة .

(٥) وزير الخارجية فى وقت لاحق لقيام الثورة .

(٦) وزير الاقتصاد فى وقت لاحق لقيام الثورة .

(٧) وزير الخارجية فى وقت لاحق لقيام الثورة .

أكملت دراسة الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع فى الجامعة الامريكية ، ثم حصلت سنة ١٩٥٠ على ليسانس كلية الحقوق فأقام السيد على اسماعيل المؤيد مأدبة عشاء فى مقره الرسمى احتفالا بتخرج أول يمنى فى الجامعة علاوة على حصولى على مرتبة الشرف .

وقد حضر هذه المأدبة أصدقاء أبى الذين سبق أن نصحوا للإمام أن يضمنى إلى بعثة الطلبة اليمنيين فى مصر .

٤

وصلتنى برقية من الإمام أحمد تأمر بوصولى إلى اليمن لمقابلته ، فوصلت فى ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٥٠ إلى مدينة تعز حيث كان الإمام قد اتخذها عاصمة ثانية لليمن ، مبتعدا عن صنعاء التى كانت مسرحا لانقلاب عبد الله الوزير (١٩٤٨) والتى كان الإمام أحمد قد أذن للقبائل بنهبها كسلاح من أسلحته فى إجهاض الانقلاب ، وعقاب من عقوباته لأهل صنعاء .

وعندما وصلت إلى تعز قبلت ترابها الغالى ، وكانت قد تحركت أشجانى والتهبت مشاعرى نحو الوطن الخالد الذى انتسب إليه وأراه لأول مرة فى حياتى ، و كان عمرى عندئذ أربعة وعشرين عاما .

هالنى ما رأيت فى وطنى الحبيب .
رأيت التخلف الرهيب فى أبشع صوره .

أثناء إقامتى فى دار الضيافة فى تعز أخذت اراجع برنامجا مطولا عن كيفية تطوير وطنى ، بناء على معلوماتى السابقة عن اليمن ، كى أقدمه إلى الإمام أحمد عند تشرفى بمقابلته .

وحين أمضيت فى دار الضيافة نحو شهرين تأكدت أن برنامج الاصلاح الذى أعددته لتقديمه الى الامام تنقصه الأمور الكثيرة ، لأن أسباب وجذور التخلف فى اليمن ضاربة فى أعماق المجتمع اليمنى ، وأن المعلومات التى سبق أن جمعتها عن اليمن لا تعدو أن تكون قشرة على سطح الحقيقة المرة .

أمر الإمام بتعيينى بالقاهرة وطلب منى موافاته بأفكارى عن إصلاح اليمن . وفى طريقى إلى القاهرة توقفت الطائرة اليمنية بضعة أيام فى أسمرة لإصلاحها من عطب أصابها فى الطريق ، وتجمع الصحفيون واليمنيون فى الفندق الذى كنت أقيم فيه فعقدت أول مؤتمر صحفى فى حياتى شهده كبار الزملاء اليمنيين الموجودين فى أسمرة وعلى رأسهم فى ذلك الوقت القاضى عبد الله الحجرى[1] والعميد غالب الجرموزى[2] .

كان الإصلاح فى اليمن ينبغى أن يعتمد على حلول اقتصادية ذات طابع إسلامى حتى يمكن أن يتقبل المجتمع اليمنى هذه الحلول ولا يعارضها الإمام فتبينت أن ثقافتى التى حصلت عليها من كلية الحقوق والجامعة الامريكية لا تؤهلنى لاختيار هذه الحلول بعد أن رأيت ما رأيت فى اليمن . فقررت أن أزيد عليها دراسات فى العلوم الاقتصادية والإسلامية فحصلت من جامعة القاهرة على دبلوم الدراسات العليا فى الاقتصاد السياسى سنة ١٩٥٢ ثم دبلوم الدراسات العليا فى الشريعة الإسلامية من نفس الجامعة سنة ١٩٥٣ .

---

(١) عضو المجلس الجمهورى ورئيس الوزراء فى وقت لاحق بعد قيام الثورة .
(٢) راجع صفحة ٤١ .

قمت بتمثيل اليمن فى جميع لجانها ، وكنت رئيسا للجنة الشئون القانونية التى صاغت أول اتفاقية عربية لتبادل تسليم المجرمين ، وكنت مقررا للجنة الشئون الاجتماعية التى صاغت أول توصيات للتكافل الاجتماعى .

اشتركت فى الوفد اليمنى لدى حلقة الدراسات الاجتماعية للدول العربية التى نظمتها الأمم المتحدة فى دمشق (٨ - ٢٠ ديسمبر ١٩٥٢) وكان معى القاضى اسماعيل الجرافى (سكرتير أول بالسفارة اليمنية بالقاهرة) حيث ألقيت فى هذه الحلقة بحثين علميين أحدهما عن (الصلة بين التنمية الاقتصادية والحاجة إلى التكافل الاجتماعى) والثانى عن (التشريع الإسلامى المقارن وتمويل التكافل الاجتماعى) .

فاز هذان البحثان بجائزتين ماليتين من الأمم المتحدة وقامت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بطبعهما فى مجلد عن تلك الحلقة .

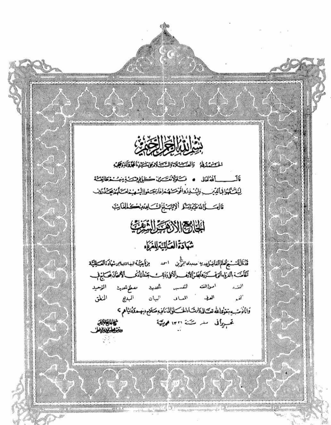
كذلك كنت مقررا للجنة الشئون الادارية التى كان يرأسها مندوب العراق الأستاذ عبد القادر الكيلانى التى شكلها مجلس الجامعة لإعادة تنظيم الأمانة العامة للجامعة . كانت علاقاتى الشخصية قد توطدت مع جميع مندوبى الدول العربية ، فازددت معرفة بظروفها الموضوعية وتطلعاتها العربية ، وأخذت أقارنها بأهوالنا اليمنية التى كنت لا أصدق أننى رأيتها ، ولم يكن أحد يصدقنى كلما رويتها .

ثم قامت ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ فتأهبت عقارب الزمن لاعلها تتحرك فى اليمن بعد أن تعطلت عبر مئات السنين . فبدأ الحلم

الذى راود أبى يتحقق حيث بدأت شمس اليمن تهذب طبيعتها ، وتغير طلعتها ، وتبدل غروبها ، بعد أن كانت تطلع فى اليمن ، ولا يحفل بطلوعها انسان ، وتغرب ولا يأتى غروبها بغير الظلمة واليأس والحرمان .

وبعد أن مضى ثلاثون عاما منذ أن تحركت عقارب الزمن فعلا فى اليمن ، أقنعنى رفاق الطريق بأن أسجل مايمكننى توثيقه من أحداث هذا الزمن ، مستخلصا دروسه المستفادة ، لعلها تنجح فى تحقيق الأمل الذى تمنيته فى أحد كتبى فتبلغ الحسرة العربي مواقع الإدراك العربي المشترك ، فتلد الإرادة العربية المشتركة ، التى تصحح مسار العمل العربى المشترك .

حينئذ يستيقظ جيل من الأجيال العربية الصاعدة من بين رماد الحريق ، ومن تحت صخور البركان ، فيبحث عن أمل ضائع فى مستقبل أفضل .



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه

قال الله تعالى : فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون

قال صلى الله عليه وسلم : ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب

الجامع الأزهر الشريف

شهادة العالمية للغرباء

قد نال الشيخ العالم الفاضل عبدربه أحمد عبدالله اليمني بن أحمد من ناحية البيضاء باليمن شهادة العالمية الكاملة بالغرباء التي قررها مجلس الأزهر الأعلى وذلك بعد أن أدى الامتحان بنجاح في

الفقه – أصول الفقه – التفسير – الحديث – مصطلح الحديث – التوحيد

النحو – الصرف – المعاني – البيان – البديع – المنطق

وأنا نوصيه بتقوى الله تعالى وإرشاد الخلق إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم

تحريراً في صفر سنة ١٣٢٦ هجرية

شيخ الجامع الأزهر
ورئيس مجلس الأزهر الأعلى

شهادة العالمية باسم والد البيضاني الشيخ عبدربه أحمد عبدالله المرادى البيضانى .



من اليمين إلى اليسار : أحد علماء الأزهر ، القاضى عبد الله الحجرى رئيس هيئة الأمر بالمعروف الذى تولى رئاسة الوزراء فى وقت لاحق لقيام الثورة ، الاستاذ عبد الله طاهر مدير اللاسلكى ، البيضانى ، العميد غالب الجرموزى مدير الطيران (عام ١٩٥١) .



الإمام أحمد مع الأمين المساعد للجامعة العربية الأستاذ أحمد الشقيرى ، ويرى البيضانى واقفا خلف الإمام .



كيف بدأ الدور المصرى

يحتفل الشعب اليمنى بالعيد الثلاثين لقيام ثورته التى نجحت فى القضاء على النظام الإمامى المتخلف وإقامة الجمهورية التى ألحقته بسكان الأرض ، بفضل الدور المصرى الذى حفر أمجاده فى صفحات التاريخ .

أنقذت الثورة شعب اليمن من بين قضبان النظام الإمامى الذى جثم على صدره ألفا ومائة عام ، عمر المأساة التى نزلت على اليمن ، فدفنت أمجادها بين الأطلال وجعلت أعزة أهلها أذلة ، وكان من يزورون اليمن يرون فيها بقايا آدمية تتحرك فى بطء كاليأس ، ورعشة كسكرات الموت ، تتصدرهم علائم الأمراض ، تميزهم آثار السياط ، يشلهم هزال الخوف ، والمرض ، والجوع ، والحرمان ، حرمهم الأئمة الظالمون من نعمة الحياة فكانوا يتسابقون الى نعيم الموت ، لا يحسون بلوعة الفراق لأنهم لم يشعروا بفرحة الوجود !

طوال ألف ومائة عام كانت الدنيا لا تطيق أن تسمع عن مأساة اليمن شيئا ، فصمت عنها آذانها ، وكانت لا تتحمل أن تراها ، فأغمضت عنها عيونها ، إلى أن أراد الله خيرا باليمن ، فسمعت عنها مصر ، حتى أمعنت فيها النظر !

وتجلت الإرادة الإلهية حين أوحت الى الإمام أحمد بأن يكون هو نفسه الذى يبدأ فى مداعبة مصر ، فكان هو الذى أسمعها مأساة اليمن ، وهو الذى دفعها إلى أن تمعن فيها

النظر ، فأراد أن ينشىء علاقة خاصة برجال الثورة المصرية ، كي يظهر امام الشعب اليمنى بأنه راغب فى الإصلاح .

كان يسعى إلى أن تشمل هذه العلاقة الخاصة تأييد ابنه سيف الإسلام البدر ليكون وليا للعهد . بينما لا يعترف النظام الإمامى بولاية العهد[1] .

شاءت الأقدار أن كنت قبل قيام الثورة المصرية أول يمنى ، فى تاريخ اليمن ، تخرج فى الجامعة ، فاختارنى الإمام مستشارا للمفوضية اليمنية بالقاهرة ونائبا لمندوب اليمن لدى جامعة الدول العربية ومشرفا على البعثة التعليمية بمصر التى كنت قبل التخرج أحد أعضائها ، وحين قرر إنشاء علاقته الخاصة مع مصر استدعانى وطلب منى العمل على بنائها مع قادة هذه الثورة ، وعندما عدت إلى القاهرة توجهت إلى مقر

---

(١) اشترط الإمام زيد مؤسس المذهب الزيدى أن يخرج من يرشح نفسه للإمامة داعيا لنفسه ، وذلك لسببين ، أولهما أن أهل الحق والعقد هم الذين يقررون أن أختياره يحقق مصلحة المسلمين . وثانيهما أن الأصلح ليس بالضرورة أن يكون هو الأفضل . فالإمام زيد قد خالف كل الشيعة فى حكم الخلافة بالوراثة حيث لم يشترط فى الإمام أن يكون عدلا فاطميا ، وقد فضل فقط أن يكون الإمام من ذرية على من فاطمة رضى الله عنها ، واعتبر هذا النسب مجرد شرط افضلية وليس شرط صلاحية عند تساوى المرشحين فى العدل . ولذلك أجاز إمامة المفضول من خارج هذه الذرية مع وجود العدل الأفضل المنتسب اليها طالما كانت للمسلمين مصلحة محققة فى ذلك . وهذا ما يقطع بأن المذهب الزيدى لا يعترف بولاية العهد ويترك أمر إختيار الإمام لأهل الحل والعقد كى يختاروا ما يحقق مصلحة المسلمين ولو كان من خارج هذه الذرية . وهذه قمة الديمقراطية التى تتحرى مصلحة المسلمين ، والتى خرج عليها الكثير من أئمة اليمن الزيود فخرجوا عن هذا المذهب ، مما دفع الشعب اليمنى إلى الثورة على النظام الإمامى . (راجع خاتمة هذا الكتاب - المذهب الزيدى والمذاهب الأخرى) صفحة ١٦٩ .

مجلس قيادة الثورة فى الجزيرة حيث استقبلنى المقدم أركان حرب كمال عبد الحميد . وكان مديرا للشئون العربية لمجلس قيادة الثورة وسكرتيرا عاما لوزارة الحربية (ويعمل الآن مستشارا عسكريا للحكومة الكويتية) .

□ أول ضابط مصرى فى اليمن □

أطلعت المقدم كمال عبد الحميد على رغبة الإمام أحمد ، فاستمهلنى ثلاثة أيام حتى يعرض الأمر على (البكباشى) جمال عبد الناصر ، ثم أخبرنى بترحيب قيادة الثورة المصرية بتوطيد علاقتها مع الامام أحمد وابنه سيف الاسلام البدر . وبحسب تخطيط الإمام رجعت إلى اليمن ومعى المقدم كمال عبد الحميد لمقابلة الامام والبدر ، وكان ذلك فى يناير ١٩٥٣ .

وتمت اللقاءات المرسومة التى نجحت فى خلق ثقة متبادلة بين الامام وقادة الثورة المصرية ، وأثناء اجتماع مغلق لدى الامام اقترحت أن يطلب الإمام من مصر بعثة من المدربين العسكريين المصريين لتدريب الجيش اليمنى فى تعز ، حتى يكون نواة للقوة العسكرية التى يمكن أن تساند الإصلاح الذى يتطلع إليه الإمام .

□ أول بعثة عسكرية □

وافق الإمام أحمد على هذا الاقتراح وطلب من المقدم كمال عبد الحميد أن يحمل هذا الرجاء إلى القادة فى مصر ، وعندما

عدنا إلى القاهرة التقينا بالرئيس عبد الناصر الذى وافق على ايفاد بعثة عسكرية مصرية الى اليمن بناء على طلب الإمام .

كانت البعثة العسكرية المصرية برئاسة الرائد كمال أبو الفتوح (اللواء محافظ القليوبية فيما بعد) وعضوية النقيب محمد أحمد لبيب (اللواء محافظ بنى سويف فيما بعد) والنقيب يوسف عفيفى (الفريق محافظ الجيزة الحالى) وآخرين . إلى جانب بعثة أخرى مصرية من ضباط الشرطة لتدريب الشرطة اليمنية كانت برئاسة الرائد عبد الله الحامد (اللواء مساعد أول وزير الداخلية فيما بعد) والنقيب مصطفى الهمشرى (اللواء مدير أمن الإسماعيلية فيما بعد) .

وكان الطالب اليمنى محمد قائد سيف قد تخرج فى الكلية الحربية فى القاهرة بعد أن وصل اليها من عدن للدراسة فى المدرسة الثانوية فى القاهرة سنة ١٩٤٨ ، وكان ضمن البعثة اليمنية التى تشرفت بالإشراف عليها ، ووجدت فى أعماقه ثورة عارمة على كل أوضاع اليمن ، وكنا نلتقى كثيرا نتأمل أحوال اليمن ، وكنت أنصحه دائما بالهدوء والصمت حتى يستكمل دراسته ، لأن السياسة فن بلوغ الممكن وليست تكسير الرأس على صخرة المستحيل ، ولم تكن حينئذ ظروف اليمن الموضوعية تسمح بأى إصلاح .

بعد جهد شاق نجحنا فى أن يقرر الإمام أحمد تعيين الملازم محمد قائد سيف ضابطا للاتصال بين الإمام والبعثتين العسكريتين المصريتين ، مع تكليفه بالاشتراك مع المقدم أحمد

يحيى الثلايا قائد الجيش فى تعز باستلام هدية الأسلحة والذخيرة التى وصلت من مصر مع الضباط المصريين .

□ أول أسلحة مصرية فى اليمن □

وكانت هذه الهدية عبارة عن أربعة مدافع هاون ، وستة مدافع رشاشة ثقيلة واثنى عشر رشاش بور سعيد ، وعشرين بندقية صناعة مصرية ، وأربعين قنبلة يدوية ، وعشرة صناديق ذخيرة لهذه الأسلحة ، تم نقلها جميعا إلى مخازن قصر صالة بتعز .

استمر تدريب الجنود اليمنيين نحو خمسة وأربعين يوما ، وإذا بالإمام يعود سيرته الأولى ، فيعدل عن هذا التدريب ويأمر جنوده بالانصراف عن المدربين ، ويطلب من البعثة العسكرية الانتظار فى دار الضيافة ، ثم يستدعينى من القاهرة ويأمرنى برجاء مصر أن تسحب بعثتها من اليمن .

زرت الرئيس عبد الناصر ، الذى سمع عن أحوال اليمن وبدأ يمعن فيها النظر ، وأبلغته عن استحالة إصلاح اليمن بغير الاستناد على قوة عسكرية ، الأمر الذى يستحيل تحقيقه فى ظل النظام الإمامى الذى يعتمد على تمزيق الشعب ، فلم يكن فى اليمن جيش بمفهوم كلمة جيش ، كان جنود الإمام عبارة عن جماعات مرتزقة متفرقة من رجال القبائل التى اعتنقت المذهب الشيعى الزيدى ، حيث لا يسمح النظام الإمامى لأبناء المنطقة السنية الشافعية بحمل السلاح رغم أنهم أغلبية سكان اليمن .

لم يكن جنود الإمام يرتبطون بصلات تنظيمية ، وكانوا يتلقون الأوامر مباشرة من الإمام ، وكانت غاية مرادهم سلب أموال المواطنين الذين كان عليهم أن يزرعوا الأرض ثم يسلموا الحصاد للإمام وجنوده ، وكان عليهم أن يرضوا بالفتات الذى يبقيه الإمام عند أيديهم ، حتى يستمروا أحياء يزرعون الأرض ويسلمون الحصاد .

كان الإمام وجنوده ينفذون تعاليم سلفهم الصالح الإمام المتوكل إسماعيل الذى رد على شكوى أهالى المنطقة الشافعية من ظلم الجنود الزيود وهم يسلبون أموالهم ، فقال لهم (لا يؤاخذنى الله الا فيما أبقيت لكم .. اليمن دار كفر .. استفتحناها بسيوفنا)[1] .

نصحنى الرئيس عبد الناصر بزيارة (البكباشى) محمد أنور السادات سكرتير عام المؤتمر الإسلامى حتى يتولى متابعة شئون اليمن معى ، ومناقشة الخطوات التى تمهد لإصلاح اليمن ، ففهمت من كلمات الرئيس أنه يتحاشى الحديث فى أمور تتناقض مع نظام حكم قائم فى اليمن .

□ السادات والإنقلاب الأول□

نجح أعداء الاصلاح فى إثارة حفيظة الإمام ضدى ونصحوه بابعادى عن محيط الطلبة اليمنيين بالقاهرة

(١) هذا الإمام كان أحد الأئمة الزيود الذين خرجوا على سماحة المذهب الزيدى وتعاليمه راجع صفحة ١٦٩ .

والمسئولين المصريين فى مصر ، فقرر نقلى وزيرا مفوضا فى المانيا الغربية حيث سافرت إليها فى ٣ فبراير ١٩٥٥ . وفى منتصف مارس ١٩٥٥ وصل السادات إلى مدينة فرانكفورت بألمانيا الغربية فى طريق عودته إلى القاهرة بعد زيارات شملت عدة دول .

التقيت بالسادات فى مقر القنصلية المصرية فى فرانكفورت ، فقص على قصة مثيرة . ذلك أنه أثناء زيارته لليمن خلال شهر فبراير ١٩٥٥ ، أى قبل حوالى شهر من تلك المقابلة ، وبعد أن زار الإمام ، توجه إلى غرفة نومه وإذا بمدير مكتبه النقيب حسن نائل الذى صاحبه فى تلك الزيارة يقترب من سريره ومعه الملازم محمد قائد سيف الذى أصر على مقابلته وسلمه تقريرا خطيا عن أحوال اليمن والعذاب النفسى الذى تعانيه البعثة العسكرية المصرية ، وأكد له أنه لا فائدة من مجاملة الإمام وأنه لن يكون اصلاح اليمن ممكنا فى ظل البدر .

كان ذلك التقرير بخط محمد قائد سيف وتوقيعه ، ثم سلمنى السادات رسالة خطية منه يشرح فيها ما جرى بينه وبين السادات ، ويطلب منى الاطلاع على التقرير الشامل الذى سلمه إليه . وبعدئذ روى السادات أن الإمام طلب منه إبلاغ الرئيس عبد الناصر رغبته فى سحب البعثة العسكرية المصرية من اليمن زاعما أنه حريص على راحة أعضائها الذين وصلوا إلى حالة نفسية مرهقة .

أكمل السادات تلك القصة بقوله إن سيف الإسلام عبد الله (شقيق الإمام ووزير الخارجية) زاره فى دار الضيافة فى

تعز ، وقدم نفسه على أنه داعية إصلاح يسعى إلى توطيد أقوى العلاقات مع مصر ، فشرحت وجهة نظرى وكيف إن الحد الأدنى لمقومات أى نجاح لأية محاولة إصلاح فى اليمن لم يتوافر حتى تلك اللحظة ، وإن أى انقلاب يمكن أن يقوم على تلك الصورة فى اليمن لن يزيد على كونه حلقة جديدة من حلقات الصراع الدموى على السلطة بين المتزاحمين على كرسى الإمامة وسفك دماء المصلحين ، وليس للشعب اليمنى فى ذلك ناقة ولا جمل ، سوى تسليم رقاب المصلحين لسيوف الجلادين . وكان ذلك أيضا رأى السادات .

بعد هذا اللقاء بنحو أسبوعين وقع انقلاب المقدم أحمد يحيى الثلايا يوم الخميس ٣١ مارس سنة ١٩٥٥ ، الذى خطط له محمد قائد سيف . فلم تؤيده مصر ولم تحرك له البعثة العسكرية المصرية ساكنا ، بينما كانت على مقربة من مسرح الانقلاب فى تعز . ومن جانبى أعلنت فى مؤتمر صحفى فى بون أن الإمام أحمد لا يزال يسيطر على مقاليد الحكم فى اليمن .

بعد أربعة أيام أذاعت وكالات الأنباء انتصار الإمام (٤ أبريل ١٩٥٥) فاستدعانى الى اليمن ، وفى طريقى اليها التقيت بالسادات فى القاهرة ، ودرسنا الموقف على ضوء هذه التطورات المرتجلة والحزينة . وكان الملازم محمد قائد سيف قد حكم عليه بالإعدام ، وتمكن من الفرار إلى عدن فى طريقه إلى القاهرة ، بعد أن أعدم الإمام المقدم الثلايا ومعظم قادة الانقلاب[1] .

---

(١) كانت نوايا الشهيد الثلايا وزملائه الثوار نوايا وطنية ، منبعثة من =

كان الموقف على هذا النحو خطيرا جدا ، ولم يكن فى الإمكان الاعتماد على أية مجموعة من الجيش اليمنى لفرض الإصلاح الذى يتطلع اليه الشعب اليمنى ، فقد كان سلاح الجيش عبارة عن بنادق قديمة ، شأنها فى ذلك شأن معظم السلاح الذى يحمله كل رجال القبائل الزيدية ، حيث كان نظام الحكم الإمامى يعتمد فى بسط سلطانه على إثارة الفتن بين القبائل حتى يستنفد طاقاتها فى ضرب بعضها بعضا .

فلم يكن هناك بد من التفكير فى كيفية إحضار أسلحة حديثة تتفوق على البنادق والرشاشات التى فى أيدى القبائل ، مع التفكير فى تدريب عدة كتائب من الجيش على هذه الأسلحة ، وتنظيمها وفقا للأنظمة العسكرية الحديثة ، مع نشر الوعى بين أفرادها لتكون سندا للمصلحين من أبناء الشعب عندما يبدأون الإصلاح ، وكانت فى الأفق الأسلحة السوفييتية التى بدأت تصل إلى مصر منذ سبتمبر ١٩٥٥ تنفيذا لصفقة الأسلحة التى عقدها الرئيس عبد الناصر .

* = إحساس عميق بوجيعة الشعب اليمنى وضرورة التخلص من نظام الحكم الفاسد الذى أعاق نموه وفرض تخلفه ، فاستهدف الشهيد وزملاؤه التخلص من هذا النظام على مراحل تبدأ بعزل الإمام احمد تحت مظلة شقيقة الأمير عبد الله وتنصيبه إماما ، مع بروز دور الجيش اليمنى وتقويته ليكون أداة حاسمة للتخلص من النظام الإمامى ذاته عندما تقوى شوكة الجيش . لكن هذه النوايا الوطنية إفتقدت إلى دراسة الظروف اليمنية الموضوعية المحركة للتغيير فى اليمن والظروف الأخرى النفسية المؤثرة فى مدى خضوع الشعب اليمنى لظلم النظام الامامى من جهة ، ومدى استعداده للتخلص من هذا الظلم من جهة أخرى ، ثم الظروف العربية المحيطة باليمن والتى لا ينتظر منها أن تتجاوب مع مثل هذا التغيير المفاجىء فى اليمن .

رفض الشهيد الثلايا قتل الإمام أحمد بعد أن استسلم وأعلن تنازله عن الإمامة لأخيه ، وعندما تمكن الأمام أحمد من مباغتة الشهيد وزعماء الإنقلاب قرر الإمام إعدامهم وإعدام شقيقيه الإمام الجديد عبد الله والأمير العباس الذى بايعه .

كانت هناك مشكلة أخرى لا تقل خطورة وهى مشكلة ميناء الحديدة ، الميناء البحرى الرئيسى فى اليمن . فكان هذا الميناء لا يصلح إلا للسفن الصغيرة التى كان عليها أن ترسو على بعد مئات الأمتار من الشاطىء الضحل ، وبعد ذلك تتجه إليها الزوارق الصغيرة لتقوم بنقل البضائع والركاب إلى القرب من الشاطىء ، حيث يكون الحمالون فى انتظارها لحمل البضائع والركاب فوق أكتافهم وسط المياه إلى رصيف الميناء الرملى .

فكان لابد مع التفكير فى كيفية احضار الأسلحة الثقيلة ان يبدأ البحث عن كيفية إحضارها إلى اليمن ، ولاحت تلك الفرصة عندما كلفنى الإمام برئاسة وفد يمنى اقتصادى لتوقيع اتفاقية اقتصادية مع الحكومة اليابانية ، فسافرت إلى طوكيو (أبريل ١٩٥٦) ونجحنا فى أن تتضمن هذه الاتفاقية شرطا يلزم اليمن ببناء ميناء الحديدة حتى يدخل اسم اليمن ضمن القوائم التجارية اليابانية ، حيث كانت تجارة اليمن مسجلة باسم المحمية البريطانية فى عدن .

صدق الإمام على هذه الإتفاقية وكلفنى بمفاوضة شركات ألمانية لبناء الميناء ، واثناء المفاوضات كلفنى الإمام بالانضمام الى ولى عهده البدر فى زيارته الرسمية للاتحاد السوفييتى وألمانيا الشرقية (يونية ١٩٥٦) .

عندئذ لاحت الفرصة التاريخية الأخرى لإدخال أسلحة حديثة إلى اليمن ، وما يترتب على ذلك من تدريب للجيش اليمنى وتنظيمه . فشرحت للبدر أهمية الحصول على أسلحة من روسيا تأكيدا لتطلعه إلى الإصلاح ، وكان القاضى محمد

عبد الله العمرى وكيل وزارة الخارجية حاضرا مؤيدا هذا الاقتراح ، فهو من طلائع المصلحين اليمنيين ، فكلفنى البدر بتقديم طلب الأسلحة أثناء المفاوضات باعتبارى الناطق الرسمى باسم الوفد اليمنى ، وعندما تقدمت بذلك فى جلسة المفاوضات الرسمية أجاب خروشوف رئيس الوفد السوفيتى بأنه ينتظر منا قائمة بالأسلحة المطلوبة ، وأنه على استعداد لتلبية طلبنا كهدية من الاتحاد السوفيتى[1] ، فقدمنا هذه القائمة التى أعدها عضو الوفد وسكرتير البدر العقيد عبد الله الضبى . [حاليا مستشار برئاسة الجمهورية].

□ إيدن يبشر الإمام بنهاية عبد الناصر □

عندما أذاعت موسكو هذا النبأ استدعى إيدن رئيس الوزراء البريطانى صديقه حسن بن إبراهيم وزير اليمن المفوض فى لندن ، وأبلغه استياء بريطانيا من هدية الأسلحة السوفيتية إلى اليمن باعتبارها عملا عدائيا ضدها ، وكلفه بأن يحذر الإمام ويطلب منه رفضها بعد أن يبشره بقرب نهاية عبد الناصر .

كانت بريطانيا تنزف من كبريائها وهى حديثة عهد بالجلاء عن مصر ، وكانت ترسم مع دالاس وزير الخارجية الأمريكى أساليب استفزاز عبد الناصر الذى بدأ يميل إلى المعسكر الشرقى بعد صفقة السلاح التشيكى ، فاهتدت القريحة

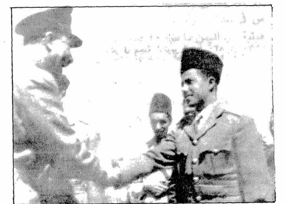
(١) كذلك وافق خروشوف على التعاقد معنا على بناء ميناء الحديدة الذى بدونه لا تستطيع الاسلحة السوفيتية الثقيلة أن تدخل الى اليمن .

البريطانية إلى التمهيد لسحب العرض الخاص بتمويل بناء السد العالى .

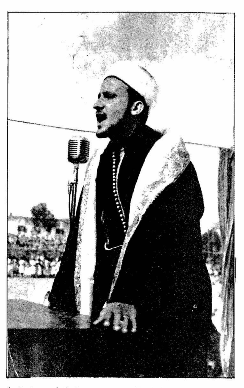
وبينما كنا مستغرقين فى المفاوضات فى برلين الشرقية على أثر نجاحنا فى موسكو تلقى البدر من والده الإمام برقية تهديد ووعيد ، غليظة الألفاظ ، دموية الانفعال ، ذكرتنا بهدير سيفه حين يثور على غريمه ، لأننا خرجنا عن إرادته وطلبنا السلاح من الروس دون تفويض منه ، فأمرنا بإنهاء مهمتنا والعودة مباشرة إلى اليمن ، فارتعشت فرائص البدر ، وتمارض القاضى العمرى واحتمى ، فى أحد مستشفيات باريس ، وتنصل بقية أعضاء الوفد من جريرة طلب السلاح ، وعلقوا سيف المسئولية فوق عنقى ، ورجعنا إلى اليمن والتقينا بالإمام .
وكان اللقاء

نشر فى مجلة أكتوبر العدد ٨٣٠ فى ١٩٩٢/٩/٢٠ ·

(البكباشى) كمال عبد الحميد أول مبعوث عسكرى مصرى مع البيضانى فى اليمن يناير ١٩٥٣ .



(البكباشى) أنور السادات مع الملازم اليمنى محمد قائد سيف فى اليمن (فبراير ١٩٥٥) .



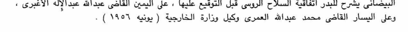
البيضانى يلقى كلمة فى احتفال شعبى بحضور الإمام أحمد يزف فيها للشعب اليمنى بشرى موافقه الإمام على انشاء جيش حديث(فبراير ١٩٥٣) .



البيضانى والسادات وأحد الصحفيين الألمان فى دار القنصلية المصرية فى فرانكفورت
(مارس ١٩٥٥) .



هكذا كانت وسيلة نقل المسافرين وطرود البضائع إلى شاطىء الحديدة على (أكتاف) الحمالين وسط مياه الميناء قبل بنائه الذى كان من أهم عناصر الإعداد للثورة الجذرية .



البيضانى يشرح للبدر اتفاقية السلاح الروسى قبل التوقيع عليها ، على اليمين القاضى عبدالله عبدالإله الأغبرى ، وعلى اليسار القاضى محمد عبدالله العمرى وكيل وزارة الخارجية (يونيه ١٩٥٦) .

٢

عراف الامام
ينقذنى من سيفه !

امتثلنا لأمر الإمام وعدنا الى اليمن ، وفى مجلس الإمام شكرنى البدر قائلا إننى الذى اقترحت طلب السلاح من الروس لمواجهة الاعتداءات البريطانية على اليمن ، فركل الإمام ابنه البدر فى ساقه حتى سقط على الأرض ، وقال إن القاضى العمرى هو المسئول ، وإنه قد عزله من وزارة الخارجية وعين بدله السيد حسن إبراهيم وكيلا لوزارة الخارجية . وكان حسن ابراهيم (الهاشمى) قد استخدم سلاح العنصرية فى منافسته مع ابن الشعب القاضى العمرى (القحطانى) ، فأقنع الإمام بأن العمرى يسعى إلى إسقاط حكم الإمامة الهاشمية فى اليمن .

حاولت تهدئة ثورة الإمام ، فقلت إن الأسلحة عندماتظل مفككة داخل صناديقها تبقى مجرد قطع من حديد ، ولا تصبح أسلحة إلا بعد إخراجها وتركيبها ثم تدريب البشر على استخدامها ، وذلك مرهون بإرادة الإمام ، ولا أحد غير الإمام ، كما أنه عندما تعرف بريطانيا أن اليمن قد بدأت تحمل السلاح فإنها تعيد حساباتها قبل التفكير فى الاعتداء على اليمن . وبذلك تؤتى الأسلحة السوفييتية ثمارها فى عدن حتى إذا بقيت أسيرة لصناديقها فى الحديدة .

□ الإمام بين الإنجليز وعبد الناصر □

تجاذبت الإمام مشاعر متعارضة . كان يكره اعتداء

الانجليز العسكرى من عدن ، كما كان يخشى نداء عبد الناصر القومى من القاهرة . فكان وطنيا فى مواجهة الانجليز ، انعزاليا فى مواجهة عبد الناصر ، فاقتضى دهاؤه الفطرى أن يحتضن حسن إبراهيم الذى رآه صديقا للانجليز ، ويكتفى بعتاب ولى عهده البدر الذى أصبح صديقا للروس ، ويغفر لعبد الرحمن البيضانى الذى ساعده على إقامة علاقته الخاصة مع المصريين ، ودفع القاضى العمرى كل الثمن .

بعد نحو ثلاثة أشهر وقع يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ العدوان الثلاثى على مصر ، وظن الإمام أنه نهاية عبد الناصر كما بشره وكيل خارجيته حسن إبراهيم . وحين انتصرت مصر وخرج آخر الغزاة من بور سعيد يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦ بدأ الإمام يتكيف بالأوضاع الجديدة . فعزل حسن إبراهيم من منصب وكيل الخارجية وأعاده وزيرا مفوضا فى لندن ، وأعاد القاضى العمرى الى منصبه ، وأضاف الى وظيفتى فى بون منصب مستشاره السياسى الخاص ، ووقف يخطب فى مدينة الحديدة متأثرا بالمناخ العربى القومى الذى تجلى فى مواجهة العدوان الثلاثى على مصر فقال (انتظروا صيحتى الكبرى) معلنا انه سوف يزحف على عدن .

وكان القاضى أحمد السياغى نائب الامام فى لواء إب قد أقنعه بأن غزو عدن لا يستغرق من رجال القبائل أكثر من مسيرة يوم أو يزيد قليلا ، ودارت فعلا معارك على اطراف اليمن من الجنوب والشرق . وكنت أتلقى فى المانيا برقيات من الإمام تشرح عدوان الطائرات البريطانية وسقوط الانقاض فوق الضحايا .

ثم استدعانى ليبحث كيف يستعين بمصر فى معركته مع الانجليز ، فعدت إلى اليمن يوم ٢٤ يناير ١٩٥٧ ، ونصحت الإمام بأن مصر لا تستطيع مساعدة اليمن بعد موقفه السابق من بعثتها العسكرية وتركه الأسلحة الجديدة يأكلها الصدأ فى العراء ، واقترحت سرعة تدريب الجيش ، واستعجال الروس لبناء ميناء الحديدة تنفيذا لما اتفقنا عليه فى موسكو ، وحث الصين على سرعة الانتهاء من بناء طريق الحديدة صنعاء حتى ندافع عن العاصمة إذا اتسعت رقعة القتال مع الإنجليز .

□ أمين الجامعة ورصاص الإنجليز □

أثناء ذلك وصلت بعثة الجامعة العربية برئاسة الأستاذ عبد الخالق حسونة للاطلاع على تطورات العدوان البريطانى على اليمن ، وكنت مكلفا بمرافقتها والتفاوض معها ، فسافرنا معا إلى مناطق العدوان حيث حاصرتنا طلقات المدافع البريطانية . فاشترك الأمين العام فى اقناع الإمام بالإفراج عن الأسلحة وتدريب الجيش .

وافق الإمام الذى اعتبر ذلك مخرجا من مأزقه الذى صنعه لنفسه عندما صاح قائلا (انتظروا صيحتى الكبرى) لأن تدريب الجيش يحتاج إلى زمن يتحكم فيه الإمام كما يشاء . ويستطيع وقفه حين يريد ، وبناء ميناء الحديدة يحتاج الى وقت ، أما بناء الطريق فانه يستغرق وقتا أطول . وبعدئذ يكون لكل حادث حديث .

كان البدر فى زيارة القاهرة لتهنئة عبد الناصر بالنصر على

العدوان الثلاثى ، فكلفنى الإمام بصياغة برقية إلى البدر ليطلب من عبد الناصر (مرة أخرى) ارسال بعثة عسكرية الى اليمن ، ثم كلفنى باللحاق به لمساعدته على نجاح مهمته .

□ مرة أخرى .. بعثة عسكرية مصرية □

وصلت البعث العسكرية المصرية إلى مدينة الحديدة فى منتصف فبراير ١٩٥٧ برئاسة العقيد أركان حرب حسن فكرى الحسينى وعضوية النقيب صلاح الدين المحرزى (اللواء بالمعاش حاليا ووكيل رئيس المخابرات العامة سابقا) وآخرين ، وكنت مكلفا من قبل الإمام بمرافقتهم واعداد خطوات مهمتهم .

كنا نقيم معا فى دار الضيافة بالحديدة ، واستطاع أعداء الإصلاح أن يتمكنوا من أذن الإمام حتى أوقفوا عمل البعثة العسكرية قبل أن يبدأ ، فتعرفت على الأمر من صديقى عراف الامام محمد حلمى الذى تعود الامام على استشارته ، فأبلغنى أن أعوان شقيقه الأمير الحسن الذين يعتقدون أنه الأحق بولاية العهد قد زرعوا الشك فى قلب الإمام وحذروه من أن تدريب الجيش سوف يقضى على النظام الإمامى ، لاسيما عندما يكون التدريب على أيدى ضباط عبد الناصر .

□ عراف الإمام .. وتدريب الجيش □

كان العراف محمد حلمى يعانى من قسوة أعوان الأمير الحسن مع تقاعس الإمام عن إنصافه منهم ، وكانت الظروف

المحيطة بالإمام تجعلنى أحتمى شخصيا فى صداقة محمد حلمى وتقاريره الفلكية . فقدمته إلى رئيس البعثة المصرية حسن فكرى الحسينى ونائبه صلاح المحرزى ، وتعاقبت اللقاءات ورحلات صيد الغزال التى كنت أفتعلها لتوطيد العلاقات الشخصية بين محمد حلمى ورجال البعثة ، أثناء أشهر القلق التى قضيناها معا نسعى إلى موافقة الإمام .

اقترحت على محمد حلمى أن يكتب تقريرا فلكيا للإمام يقنعه بأن تدريب مجموعات عسكرية يمنية سوف يكون فى صالحه وصالح ولاية ابنه البدر ، وحين وافق على ذلك عقدت اجتماعا فى غرفتى حضره العقيد حسن فكرى الحسينى والنقيب صلاح المحرزى ، واشتركنا جميعا مع محمد حلمى فى صياغة التقرير .

وكنت قد سبق أن قدمت تقريرا مفصلا للإمام أعده العقيد حسن فكرى الحسينى والنقيب صلاح المحرزى يتضمن كافة المقترحات الرئيسية لتنظيم وإعادة بناء الجيش اليمنى ، مع منح البعثة العسكرية المصرية صلاحية استلام الأسلحة والذخيرة ، وعندما قدم العراف محمد حلمى تقريره للإمام استدعانى وأبلغنى موافقته على عمل البعثة .

أنشأت البعثة مدرسة ضباط الصف ومركز تدريب الجنود على الأسلحة المختلفة ، وتولى الملازم نبيل الوقاد[1] تدريبهم على أعمال الصاعقة . ثم أنشأت مدرسة المدرعات ومدرسة

---

(١) أول شهيد مصرى فى اليمن بعد أيام من قيام الثورة .

الطيران التى تخرج فيها حسين المسورى (رئيس الأركان فيما بعد وأمين العاصمة صنعاء حاليا) وإبراهيم الحمدى (رئيس مجلس القيادة فيما بعد) .

□ الإمام وتمثيلية مرض الموت □

وتأهب التاريخ لبدء صفحة اليمن الجديدة حين سافر الإمام الى روما فى صيف ١٩٥٩ ليعالج من مرض وصفوه بأنه مرض الموت ، واستدعانى من ألمانيا لأنضم الى حاشيته التى تكونت من أفراد أسرته ، وكبيرهم شقيقه الحسن ، ورجال ديوانه وفى مقدمته زوج ابنته أحمد زبارة (مفتى الجمهورية حاليا) . وكنا نجلس من حول الإمام نقرأ القرآن وهو فى غيبوبة ما قبل الموت ، وكانت هذه الأخبار قد وصلت إلى علم ولى عهده البدر الذى أحاطه المصلحون ودفعوه الى اعلان بعض الإصلاحات التى كان من بينها تأسيس أول مجلس نيابى فى تاريخ اليمن برئاسة أحد أبناء الشعب القاضى أحمد السياغى ، وصاحبت ذلك مظاهرات مختلفة البواعث .

ووصلت تقارير الى الإمام من اليمن زعمت أن البدر قد فعل ذلك بتحريض مصرى بعد أن تأكد من غيبوبة الإمام ، وأنه اتفق مع عبد الناصر على أنه إذا استطاع الإمام أن يغادر روما فان مصر تدعوه إلى زيارتها وهو فى طريق عودته إلى اليمن ثم تدخله إحدى المصحات العقلية ، وتزود البدر بشهادات طبية تعلن عجز الإمام عن ممارسة شئون الحكم ، فيتولى البدر الوصاية على والده ويتولى منصب الإمامة بالنيابة حتى يقضى

الإمام نحبه ، أو يجتمع أهل الحل والعقد ويعلنوا عزل الإمام وتنصيب البدر مكانه[1] .

حين وصلت هذه التقارير الى الإمام طلب منى أن استأجر له يختا من ألمانيا الغربية ليبحر به إلى اليمن . فاتصلت بالهر فون برنتانو وزير الخارجية الألمانية الذى اعتذر عن عدم وجود يخوت فى ألمانيا ، ونصحنى بالاتصال بحكومة اليونان ، وعندما دخلت الى غرفة الإمام (على غير موعد) لأخبره بذلك وجدته يمشى فى الغرفة كأنه لم يكن مريضا أبدا ، فتبينت أنه كان يصطنع علينا شدة مرضه ليتعرف على ردود فعل مرضه فى اليمن ، وموقف البدر من نوايا المصلحين ، وسلوك المصريين حين يرجحون موته .

أمرنى الإمام بالاستعداد للعودة معه إلى اليمن لرئاسة محكمة على غرار محكمة (الهنداوى) العراقية أيام عبد الكريم قاسم ، لمحاكمة المشتركين فى المظاهرات وأحداث القتل والحرائق التى صاحبت ماوصفه الإمام بأنه اندفاع أحمق من البدر ، ولما اعتذرت لأسباب مرضية نقلنى وزيرا مفوضا فى السودان .

أرسلت الى السادات عن طريق الملحق العسكرى المصرى فى روما رسالة شرحت فيها حالة الإمام والتقارير التى وصلت اليه من اليمن ، واقترحت أن يعمل الرئيس عبد الناصر على ازالة شكوك الإمام ، والا يحاول دعوته الى زيارة مصر فى الوقت

---

(١) كانت هذه التقارير مغرضة بقصد الوقيعة بين الامام وابنه البدر من جانب ، وبين الامام ومصر من جانب آخر .

الراهن . كما أرسلت رسالة عاجلة مع رسول خاص الى البدر ، أطلعه فيها على حالة الإمام الصحية وأنه في طريق عودته إلى اليمن موفور الصحة .

تظاهر الإمام بأنه يفضل العودة إلى اليمن على متن طائرة ، وفي عرض البحر أمر بعودتها الى روما واختار العودة على ظهر باخرة ، وأغلب الظن أنه أراد أن يوحى للبدر وللميمنيين بموعد وصوله بالطائرة ، ويطير فعلا ، ثم يعود إلى روما حتى يعرف موقفهم من وصوله وماذا كانوا يضمرون له من شر بالاتفاق مع مصر .

وصلت باخرة الإمام إلى ميناء بور سعيد ، ورفض النزول منها خوفا من نقله إلى احدى المصحات العقلية ، وكان عبد الناصر والسادات في استقبال الإمام على رصيف الميناء ، فصعدا لمصافحته وكان جالسا فوق مقعده لايتحرك وقلبه يملؤه الغضب على مصر والخوف من عبد الناصر .

□ صفعة الإمام على وجه البدر □

ثم وصل الإمام إلى ميناء مدينة الحديدة حيث صفع ولى عهده البدر على وجهه على مشهد من المستقبلين ، حتى يذيعوا ذلك على الملأ فيستعبد الإمام هيبته ويؤكد سلطانه ، ومن إحدى شرفات القصر وقف يلقى خطابا ناريا يعلن فيه أنه سوف (يضرب أعناق السفهاء المغرورين ، أعداء شريعة الله .. دين الإسلام) .

بعد أن قدمت أوراق اعتمادى للرئيس السودانى الفريق

إبراهيم عبود أمرنى الإمام بالعودة إلى اليمن ووصلتنى رسالة من الرئيس عبد الناصر بواسطة السفير المصرى فى الخرطوم محمود سيف اليزل ينصحنى بعدم السفر إلى اليمن ، حيث وصلت إليه معلومات تفيد أن الإمام قد اطلع على رسالتى للبدر التى أرسلتها إليه من روما ، وأنه يتهمنى بأننى من بين الذين حرضوا البدر على ما أعلنه أثناء غياب والده .

تأملت نصيحة عبد الناصر وشكرت له حرصه على حياتى ، لكننى كرهت أن يكون ذلك ختام أملى فى مشاركة المتطلعين الى صياغة تاريخ جديد لليمن ، فقررت تنفيذ أمر الإمام أملا فى إنقاذ ما يمكن إنقاذه مع البدر ، ولم أكن قد أمضيت فى الخرطوم أكثر من ثلاثة عشر يوما .

عندما وصلت الى الامام بادرنى متهكما بالسؤال عن عبد الناصر ، فأجبت بأن الإمام هو الذى سعى الى إنشاء علاقته الخاصة به ، وذكرته بأن البعثة العسكرية المصرية رفضت مساعدة الانقلاب فى تعز سنة ١٩٥٥ ، وأن مصر رفضت الاعتراف به وكان ذلك لصالح الإمام ، أما فى مناخ الصراع على ولاية العهد فإن المجال يتسع لدسائس المغرضين .

أمضيت ليلتى فى دار الضيافة ، الى جوار الإمام ، ساهرا على استيعاب أخبار الشهداء الذين ذبحهم الإمام بعد عودته ، وعشرات الأخرين المكبلين بالأغلال ينتظرون الموت ، وكان الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر (زعيم حزب التجمع للإصلاح حاليا) يقيم فى الغرفة المجاورة لغرفتى يحاول استعطاف الإمام لإنقاذ أخيه الشيخ حميد ووالده الشيخ

حسين اللذين ينتظران قطع رأسيهما . فذهبت الى البدر أحاول إقناعه بالشفاعة لهما ولغيرهما .

□ البدر يوافق على عزل والده □

أقسم البدر أنه لا يقدر أن يشفع لأحد ، وأنه هو نفسه يبحث عن الذى يشفع له عند الإمام الذى أكد للكافة فقدان صوابه وجرد حرسه الملكى من سلاحه ، ومنع صرف مرتبات رجاله وقرر ذبح بعضهم قدوة لغيرهم ، مكتفيا بحراسة قبيلة الزرانيق وشيخها يحيى منصر رغم ما كان بنهما من عداء وكراهية ، فاقترحت على البدر أن أتولى تخطيط محاصرة الإمام ، على أن يعلن البدر على أثر ذلك بصفته نائبا للإمام وولى عهده قرارا بإرسال والده للعلاج خارج اليمن فيتولى منصب الإمامة أثناء مرضه وسلمته بندقيتى تأكيدا للعهد .

وعند خروجى من بيت البدر صاح هاشم طالب مدير مكتبه يرجو عودتى إلى ولى العهد الذى أعاد بندقيتى والعرق يسيل على خديه ، والدموع تتدفق فى عينيه ، وقال ان أعصابه لا تتحمل المجازفة ، ورجانى أن أمضى مع الزملاء فى تنفيذ ما نراه ممكنا ، على أن نكتم اسمه فيما بيننا ، فإذا نجحنا فانه معنا بعد النجاح وليس قبله ، وإذا فشلنا فلن يذيع سرا لمن يبقى منا على قيد الحياة .

عندئذ فقدت الأمل فى قدرة البدر على الإصلاح ، وتأكدت من عجزه عن ممارسة الحكم ، كما يئست من نهضة اليمن فى ظل النظام الإمامى الذى يتناقض بطبيعته مع الإصلاح .

□ ثم قرر الإمام قتلى □

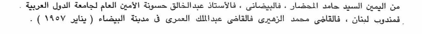
وكان الإمام بعد أن عزلنى من السودان عيننى مستشارا اقتصاديا بدرجة وزير ، ليستدرجنى الى إطلاعه على ما توهم أننى أعرفه من معلومات عن الأحداث التى وقعت فى غيابه ، ودور المصريين فى التحريض عليها ، كما يستدرجنى إلى اطلاعه على أسباب اعتذارى عن عدم محاكمة المسئولين عنها ، وعندما يئس منى اعتقد أننى أحد مدبريها فقرر قتلى .

وبمساعدة عراف الإمام ، والأصدقاء الثوار ، نجوت من سيف الإمام ، واقترحت على الشيخ عبد الله الأحمر أن يفلت معى من سيفه فنلجأ الى مصر ، لكنه آثر البقاء فى قبضة الجلاد أملا فى إنقاذ والده وشقيقه اللذين ذبحهما الإمام ثم سجن الشخ عبد الله (أطلقنا سراحه بعد الثورة) .

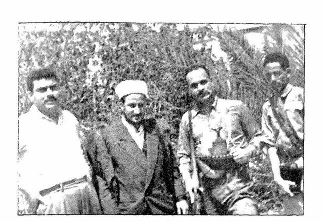
وصلت متخفيا الى القاهرة (يناير ١٩٦٠) وأطلعت الرئيس عبد الناصر والسادات على ماجرى من الإمام الذى فقد صوابه ، والبدر الذى أثبت عجزه ، والشعب الذى علق مستقبله على قرار مصر .

وبدأنا مرحلة جديدة .

نشر فى مجلة اكتوبر العدد ٨٣١ فى ١٩٩٢/٩/٢٧



من اليمين السيد حامد المحضار ، فالبيضانى ، فالأستاذ عبدالخالق حسونة الأمين العام لجامعة الدول العربية . فمندوب لبنان ، فالقاضى محمد الزهيرى فالقاضى عبدالملك العمرى فى مدينة البيضاء (يناير ١٩٥٧) .



رئيس البعثة العسكرية المصرية العقيد حسن فكرى الحسينى والنقيب صلاح المحرزى كبير المعلمين العسكريين وبينهما البيضانى (فبراير ١٩٥٧) .



الفلكى محمد حلمى عراف الإمام

٣

أفراح الانفصال !

أطلعت الرئيس عبدالناصر والسادات (يناير ١٩٦٠) على أحوال الإمام الذى يغتال شعبه ، والبدر الذى أثبت عجزه ، والشعب الذى علق مستقبله على قرار مصر ، فاقتضى الانتظار حتى تتمكن البعثة العسكرية المصرية من تدريب الحد الأدنى من الكوادر اليمنية ، ويتم الروس بناء ميناء الحديدة ، وينتهى الصينيون بناء من طريق الحديدة صنعاء . وكان ذلك يحتاج إلى سنتين أخريين نبشر خلالهما بالدعوة إلى الثورة ونعمل على تهيئة الظروف النفسية التى ترجح الالتفاف الشعبى حولها ، فسافرت إلى المانيا الغربية لاستكمال امتحانات الدكتوراه فى جامعة بون ، والتى انقطعت عنها عندما نقلنى الامام إلى السودان ثم طلبنى إلى اليمن .

كان اليمنيون يذهبون إلى عدن لشراء أجهزة الراديو ويطلبون من الباعة أن يضبطوها لهم على موجة صوت العرب التى لا يسمعون غيرها ، تلبية لنداء الوحدة .
وصل السادات إلى ألمانيا يوم ١١ أغسطس ١٩٦٠ للعلاج من أزمة قلبية فى مصحة بادناوهايم تصاحبه السيدة زوجته وابنته لبنى ومدير مكتبه فوزى عبدالحافظ وكان قد حجز لى غرفة بجوار غرفته ، فأمضينا معا شهرا نستعرض مأساة اليمن ودورها من الصراعات الدائرة على الساحة العربية . وكانت أمريكا تتأهب بمرشح إمامى جديد فى حين كانت بريطانيا تخطط لإمام آخر ، فكنا فى سباق مع كل منهما .

فى أثناء ذلك وقع الانفصال السورى يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ فأجزل الإمام عطاء الشعراء الذين هاجموا مصر وسخروا من عبدالناصر ، فى حين كان اليمنيون يحلمون بالوطن اليمنى المصرى السورى بعد أن خدعهم الإمام حين وقع على وثيقة الاتحاد الفيدرالى يوم ٨ مارس ١٩٥٨ عندما كان عبدالناصر مجتمعا مع شكرى القوتلى لإعلان الجمهورية العربية المتحدة فأبرق إليهما قائلا (بالله عليكما لا ينفض المجلس حتى يدخل اليمن فى إتحاد فيدرالى) .

أقام الإمام أفراح الانفصال فى حين رفض الشعب اليمنى الاشتراك فى جنازة الوحدة فأصبحنا نتطلع إلى إستعادتها من صنعاء بعد أن تعثر طريقها من دمشق . ذلك أننا ونحن نخطط لنهضة اليمن ندرك واجبنا (شعبا وموقعا) ونعرف دورنا فى الأمن القومى العربى حين نحلم بالوحدة العربية ، فإن أمن اليمن مرتبط بالأمن العربى حتى اذا بقيت الكيانات العربية منفصلة ، فالأمن العربى كل لا يتجزأ ، والبحر الأحمر شريان تاجى للقلب العربى من أجله هبت الحملة الفرنسية على مصر فالتهبت شهية بريطانيا واحتلت عدن وجنوب اليمن ، ثم وادى النيل بأكمله حتى توسعت فى الجزيرة العربية كلها .

كانت عدن قاعدة بريطانية اشتركت فى حرب السويس عام ١٩٥٦ وأحداث الأردن عام ١٩٥٨ ومشكلة الكويت عام ١٩٦١ ، واذا كان رمسيس الثانى قد سبق إلى عدن منذ أكثر من ثلاثة وثلاثين قرنا حين خرج بحملته البحرية إلى مياه باب المندب ليقضى على القراصنة ، فإننا استهدفنا من تحرير عدن وجنوب اليمن أن يصبح البحر الأحمر بحيرة عربية تحمى

الأمن العربى القومى ، بعد أن أحكمت مصر قبضتها عليه من ميناء بورسعيد فانتفعت بذلك فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

□ عبدالناصر يبارك الثورة □

يوم ٢٦ ديسمبر ١٩٦١ أنهت مصر اتحادها الفديرالى المزعوم مع اليمن معلنة (أن تجارب السنوات الماضية أكدت بما لا يقبل مجالا للشك فى أن الشعب اليمنى لم يستفد من التجربة ..) عندئذ سمح لى الرئيس عبدالناصر بأن أنشر أول مقال فى مجلة روز اليوسف يوم ٢٢ يناير ١٩٦٢ فكشفت عن مأساة الشعب اليمنى داعيا إلى الثورة على النظام الإمامى ، ولم أكن أخاطب الشعب اليمنى قدر ما كنت أدق ضمير الأمة العربية والإسلامية ، وأطرق أسماعها .

تلقف الأحرار اليمنيون ذلك المنشور الثورى وأعادوا طبعه فى عدن ونشروه فى جميع أنحاء اليمن ، واعتبروا السماح بنشره فى مصر مباركة من عبدالناصر رائد الوحدة العربية بأن يثور شعب اليمن ويخرج من القبر الإمامى وينضم إلى القافلة العربية ، فدبت الحياة فى شرايين الأحرار ، وعندئذ أخذت الشمس تهذب من طباعها فلا تحرق أرض اليمن ثم تدفن نورها تحت رمالها كما فعلت ألفا ومائة وإنما بدأت تحمل إلى شعب سبأ ضياء المستقبل الذى أطلت أنواره من مصر .

كان محمد قائد سيف محكوما عليه بالإعدام مقيما فى عدن ، فكان الملتقى الأمين لتقارير الثوار ورسائلهم التى كانوا يبعثونها حتى نستعين بها على تثبيت ثقة الرئيس عبدالناصر فى

اصرار الشعب اليمنى على الثورة اليمنية الوحدوية ، وبعد لقاءات متواصلة مع السادات حضرها محمد قائد سيف وآخرون ، طلبنا من مصر أنواعًا معينة من الأسلحة لإستكمال مايحتاج اليه الثوار .

عرض السادات الأمر على الرئيس بعد أن أعددنا خطة الثورة وجميع ما يتلوها من بلاغات اذاعية وتعيينات عسكرية ومدنية ، وفى مساء ٦ يونية ١٩٦٢ أخذنى إلى الرئيس حيث التقيت بالمشير عامر ورئيس المخابرات صلاح نصر ، فناقشنى الرئيس فى خطة الثورة وما تحتاج اليه من أسلحة نستكمل بها ما حصل عليه الثوار من الأسواق وما استولوا عليه من الإمام ، ثم كلف المشير بأن يأمر اللواء صلاح الحديدى مدير المخابرات الحربية بأن يسلمنى ما أطلب من هذه الأسلحة والذخيرة والمعدات وكلف السادات بأن يأمر أحمد سعيد بأن أذيع بياناتى الثورية من صوت العرب داعيا إلى اقامة الجمهورية اليمنية ، وأمر صلاح نصر بأن يستقبلنى مع زميلى محمد قائد سيف وعبد الغنى مطهر لاستكمال مناقشة احتياجات الثورة .

□ مدير المخابرات الحربية ورواية هيكل □

كتب الأستاذ محمد حسنين هيكل فى كتابه (سنوات الغليان) صفحة ٦٢٦ أنه (يوم ٨ أكتوبر ١٩٦٢) أى بعد اثنى عشر يوما من قيام الثورة (دارت فى القاهرة مناقشات

واسعة استغرقت ثلاثة أيام) حول مساعدة الثورة اليمنية ، وكان رأى الرئيس عبدالناصر (بعد أن أطلعه هيكل على مسودة لرسالة ماجستير لطالب مصرى لم يكن قد ناقشها بعد) هو الأكتفاء بالمساعدة بالسلاح وانتظار التطورات ..!! فى حين كان السادات لصلته بأحد تجار تعز (كما كتب هيكل) متحمسا لمساعدة الثورة عسكريا !! .

على نقيض من ذلك سجل اللواء صلاح الحديدى مدير المخابرات الحربية فى كتابه (شاهد على حرب اليمن) صفحة ١٨ قائلا (إن البيضانى كان على صلة بكبار المسئولين فى مصر فى هذه الفترة حتى أن مقالاته لم تمنعها الرقابة التى كانت مفروضة على الصحافة .. ودليل آخر على وجود هذه الصلة أن المرحوم المشير عبدالحكيم عامر قد قدم الدكتور البيضانى فى صيف عام ١٩٦٢ إلى أحد الأجهزة المسئولة بمصر مسرا إليه أنه سيكون على رأس الحكم فى اليمن عند اشتعال الثورة فيها والأطاحة بالإمام أحمد ومعاونيه ، وطلب من هذا الجهاز (يقصد المخابرات الحربية) تقديم كل التسهيلات للدكتور البيضانى فيما يطلبه من عون أو مساعدة. وقد أوضح الدكتور البيضانى موقفه بكل صدق وبلا أى تحفظ ، وأن كل ما يتطلبه يتلخص فى تدريبه ومجموعته على استخدام السلاح مع إجادة الرمى به ، وإرسال بعض الأسلحة إلى معاونيه فى صنعاء وتجهيز كمية محدودة منها لترافقهم عند انتقالهم إلى اليمن على طائرة عقب اندلاع الثورة ، ومن الطبيعى أن توضع طلبات الدكتور البيضانى كما حددها محل التنفيذ ، بالإضافة إلى الاطمئنان لحسن الاتصال اللاسلكى بينه وبين البعض فى صنعاء) .

□ طائرة مجهزة فى اسوان □

كنت أذهب إلى مكتب اللواء صلاح الحديدى وأسلمه مفتاح سيارتى . وفى أثناء حديثنا يكون ضباطه قد ملئوا ما بها من حقائب بقوائم الأسلحة التى نطلبها ، وكان الثوار ينتظرون هذه الحقائب فى مطار القاهرة تحرسهم عيون صلاح نصر من جواسيس الإمام . وتكررت زياراتى لصلاح الحديدى ست مرات .

كان مقررا أن أصل إلى تعز (حيث يقيم الامام) على أثر قيام الثورة بطائرة مصرية محملة بمحطة اذاعة وأسلحة وذخائر ضرورية وكانت من طراز (داكوتا) لا تستطيع الوصول إلى تعز دون توقف فتقرر تجهيزها فى مطار أسوان على أن أسافر إليها من القاهرة على طائرة نفاثة ، تم تجهيزها قبل ٢٨ أغسطس ١٩٦٢ استعدادا لساعة الصفر الثانية بعد أن تأخرت ساعة الصفر الأولى يوم ٢٣ يولية ١٩٦٢ .

□ حصار حول مصر □

فى أثناء ذلك كانت مصر مستهدفة عربيا ودوليا فأجتمع مجلس جامعة الدول العربية فى بلدة شتورا بلبنان يوم ٢٢ أغسطس ١٩٦٢ للنظر فى شكوى سوريا التى هاجمت مصر وعبدالناصر هجوما لاذعا لقى ترحيبا لدى الكثير من الوفود العربية ، ثم اشتعل الموقف بهروب المقدم زغلول عبدالرحمن الملحق العسكرى المصرى فى بيروت إلى سوريا وإعلانه عن عقد

مؤتمر صحفي ضد عبدالناصر بتحريض من سوريا مما دفع الوفد المصرى إلى التهديد بانسحاب مصر من الجامعة .

تزاحمت المؤامرات الدولية على مصر لاستئصال مشاعرها العربية ودعوتها القومية ، بعد فشل محاولة انقلاب عبدالله سعادة زعيم الحزب القومى السورى فى لبنان (ديسمبر ١٩٦١) الذى استهدف إقامة مشروع الهلال الخصيب من سوريا ولبنان والأردن والعراق ، بتحريض من بريطانيا لعزل مصر عن المشرق العربى ، وهو ذات الهدف الاستراتيجى الثابت الذى كتبه المستر بالمرستن رئيس وزراء بريطانيا إلى سفيره فى القسطنطينية يوم ١١ أغسطس ١٨٤٠[1] .

□ تعز عاصمة الثورة □

كانت خطة الثورة أن تقوم فى تعز حيث يقيم الإمام ، وهى

---

(١) كتب رئيس وزراء بريطنيا المستر بالمرستون إلى سفيره فى القسطنطينية فى ١١ اغسطس ١٨٤٠ يأمره بأن يحرض السلطان العثمانى كي يقبل إسكان يهود جدد فى فلسطين قائلا (سيكون الشعب اليهودى إذا عاد الى فلسطين فى رضى السلطان وتحت حمايته سدا بوجه أية رغبات شريرة يفكر فيها محمد على أو خليفته فى المستقبل) Albert Myamson, the British Consulate in Jerusalem (London, 1939) .

كما أرسل الكولونيل تشرشل قنصل بريطانيا فى بيروت – فى ذلك الوقت – الى مجلس الممثلين اليهود فى بريطانيا يقترح تأسيس وطن قومى فى فلسطين ، وشرح فى كتابه عن لبنان سنة ١٨٥٣ (مخاوفه من أن يستعيد العرب إقامة دولة عربية موحدة فى غرب أسيا وشمال أفريقيا) Col Churchill, Mount Lebanon (london 1853) 3 Vol. .

وعند بدء الحفر فى قناة السويس كتب الكولونيل تشرشل قنصل بريطانيا المذكور يحذر حكومته من (أغفال أمر سوريا بينما تعد العدة للسيطرة على القناة فى مصر) .

عاصمة السنة الشوافع أغلبية سكان اليمن الذين يتطلعون إلى ثورة العدالة والمساواة والوحدة العربية ، وكنا قد درسنا تفاصيل مواقعها شبرا شبرا ، وكان الأحرار من قبلنا قد أجمعوا على استحالة نجاح التغيير من صنعاء عاصمة الزيود المنتفعين من امتيازات النظام الإمامى ، فعندما كانوا محبوسين فى سجن حجة منذ انقلاب ١٩٤٨ سجلوا آراءهم فى كتاب (من وراء الأسوار) فأجمعوا على حتمية أن تبدأ الثورة فى تعز وعندما تستقر الدولة الشافعية تبدأ فى إرغام المنطقة الزيدية لاستعادة الوحدة اليمنية . سجل ذلك القاضى عبدالرحمن الإريانى (رئيس المجلس الجمهورى فيما بعد) ، وأحمد حسين المرونى ومحمد عبدالله الفسيل (المستشار أن برئاسة الجمهورية حاليا) .

وعندما تأخرت ساعة الصفر للمرة الثانية فى تعز أمر الرئيس عبدالناصر بإعادة الطائرة الداكوتا إلى مطار ألماظة حيث تم تجهيزها بخزان إضافى لتطير مباشرة الى اليمن . ثم فاجأنا الإمام بموته فى تعز يوم ١٩ سبتمبر ١٩٦٢ وانتقال جثمانه الى صنعاء فأرتبك الثوار الذين لم تكن معهم خطة مسبقة سوى احتلال محطة الاذاعة أو تدميرها بعد نجاح الثورة فى تعز ، فأنسحب العميد حمود الجائفى القائد العسكرى المختار . وداهم اليأس معظم قلوب الثوار ، وكادت تتفرق أياديهم . أو تفرقت فعلا .

عندئذ اجتمع مجلس الوزراء برئاسة البدر الإمام الجديد يوم ٢٥ سبتمبر ١٩٦٢ ، وأثناء الاجتماع أراد أحد الثوار النجاة بنفسه وهو الشيخ عاطف المصلى (أعدم بعد الثورة)

فأطلع المجلس على أسماء الثوار العسكريين والمدنيين فتقرر القبض عليهم وإعدامهم ، فخرج القاضى عبدالحجرى وزير المواصلات من الاجتماع (عضو المجلس الجمهورى فيما بعد ، وأبلغنى ذلك فى برقية بإسمى سلمها للقائم بأعمال السفارة المصرية الذى أرسلها الى السادات بشفرة الرئاسة .

أرسلت على الفور (بنفس الطريق) برقية الى قائد الجناح العسكرى للثورة الملازم على عبد المغنى أحيطه بما وصلنى ، وأخيره بين القيام بالثورة ، وبأية خطة ، وأية رئاسة ، أو التنبيه على جميع الثوار بالإلتجاء الى عدن حيث أرسل اليهم من يلتقطهم الى مصر انتظارا لفرصة أخرى . وسمح الرئيس بإرسالها فورا ، كما سمح بأن أذيع النداء الأخير للثورة من صوت العرب ، وعلى أثره قامت الثورة بعد بضع ساعات .

ذهبت مع السادات الى الرئيس حيث كان المشير عامر الذى اختار مدير مكتبه العميد على عبدالخبير (اللواء حاليا) لمرافقتى ليتولى جرد الأسلحة والذخائر فى المخازن اليمنية فنتعرف على احتياجات جيش اليمن الجديد ، ثم طلبت من الرئيس مجموعة ضباط شفرة من مكتبه الخاص حتى أتصل به مباشرة ، فأمر النقيب محمد عبدالسلام محجوب (اللواء بالرئاسة حاليا) بالسفر معى وثلاثة من أعوانه .

□ ماذا طلبنا من مصر ؟ □

كان المتفق عليه أن تزودنا مصر ببضع طائرات عسكرية وسرية من مائة ضابط وجندى وقال الرئيس إن وصولها الى

ميناء الحديدة يستغرق عدة أيام ، قلت إننى أضمن حماس الجماهير أربعة أيام ، وبعدها يكون مصيرنا معلقا على خيط رفيع من خيوط القدر ، لأن الظروف التى تدعو الى الثورة فى بلد متخلف هى بعينها التى يمكن أن تقضى عليها قبل أن تصبح نموذجا مستقرا ، أى أن باعث الثورة هو بعينه محرك الثورة المضادة . فشعور المظلوم بالظلم هو باعث الثورة وضياع امتيازات الظالم هو محرك الثورة المضادة ولذلك يتوقف نجاحنا على مدى قدرتنا على اقناع المظلومين بإمكانية النجاة من جلاديهم وقدرة الجلادين على خداع ضحاياهم وإبعادهم عنا أو تسليطهم علينا ، وهذا قدرنا بعد أن تصدينا لصياغة المستقبل اليمنى العربى الأفضل .

قلت للرئيس إنه مادام وصول السرية العسكرية الى ميناء الحديدة سوف يستغرق أكثر من أربعة أيام ففى وسعه أن يستعيد السرية من عرض البحر عندما يسمع أن رءوسنا قد علقت على أشجار اليمن ونهشتها الطيور الجارحة .

توجهت مع السادات الى مطار ألماظة ومعى العميد على عبدالخبير والنقيب محمد عبدالسلام محجوب وزملائى اليمنيين ، حيث الطائرة المجهزة التى طال عليها الانتظار ، والى جوارها اللواء صلاح الحديدى الذى سجل هذا المشهد فى كتابه صفحة ٢١ فقال (بدأت الاستعدادات لنقل الدكتور البيضانى ورفاقه الى صنعاء يوم ٢٨ / ٩ / ٦٢ على طائرة ركاب عسكرية تحمل معها فريقا صغيرا من الضباط المصريين معهم أجهزة اتصال بالقاهرة ، كان المنظر مثيرا فى مطار ألماظة الحربى وقد خلا ليلا إلا من أقل عدد من الفنيين الضروريين لإدارته ..) .

□ رحلة الموت □

كان يقود الطائرة الطيار المصرى أحمد نوح (وزير الطيران المصرى فيما بعد) وعندما اقتربنا من اليمن أبلغنى أنه تلقى إشارة من الحامية البريطانية العسكرية فى جزيرة كمران المواجهة للساحل اليمنى تسأله عن جنسية الطائرة ووجهتها فقلت له : لا ترد عليها ثم عاد وأبلغنى أنه تلقى تحذيرا ثانيا بضرب الطائرة اذا لم تفصح عن جنسيتها ووجهتها فسألته هل عندنا طريق آخر الى صنعاء ؟ قال لا .. قلت .. إذن أمض فى سبيلك ولاترد عليها ..

عاد أحمد نوح مرة ثالثة فقال : سوف يضربوننا اذا لم نرد عليهم .. قلت : سوف يضربوننا إذا قلنا إننا مصرية أو يمنية متجهة الى صنعاء ، واذا قبلنا هبوطها عندهم فلسوف يحجزوننا لديهم، أما اذا سمحوا لنا بالاقلاع فان ثورتنا تصبح ثورة انجليزية والموت أفضل من هذين الخيارين . قال : وما العمل .. قلت : أمض فى طريقك الى صنعاء ودعهم يضربوننا اذا أراد الله لنا ذلك .

وصلنا صنعاء . ثم وصلت الباخرة السودان وعليها سرية عسكرية بكامل أسلحتها الى ميناء الحديدة صباح الجمعة ٥ أكتوبر ١٩٦٢ ، وكنت فى استقبالها مع العميد على عبدالخبير ، فاذا كان وصولها من السويس يستغرق خمسة أيام وتجهيزها يستغرق يوما آخر لكان معنى ذلك أن قرار ارسالها قد صدر يوم ٣٠ سبتمبر ١٩٦٢ ، إذا لم يكن قبل ذلك ، وقد صدر فعلا

قبل ذلك عندما بدأ تجهيز الطائرة فى اسوان قبل ٢٨ أغسطس ١٩٦٢ وظلت مجهزة منتظرة حتى يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦٢

فكيف اذن .. كما روى الاستاذ هيكل أن تبدأ (مناقشة واسعة حول مساعدة الثورة وتستغرق ثلاثة أيام ، من بعد يوم ٨ أكتوبر ١٩٦٢) فى حين كانت الباخرة قد أفرغت حمولتها فى الحديدة ووصل جنودها الى صنعاء يوم ٥ أكتوبر ١٩٦٢ ؟

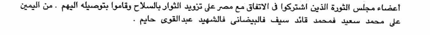
شهود الحدث أحياء .. وجميعهم عقلاء .

كان مع السرية العسكرية العقيد بحرى محمود فهمى عبدالرحمن مدير مكتب المشير عامر (وزير النقل البحرى فيما بعد) وسلمنى رسالة من المشير أفزعتنى .

نشر فى مجلة أكتوبر العدد ٨٣٣ فى ١٩٩٢/١٠/١١



الإمام السابق أحمد بن يحيى حميد الدين آخر الأئمة الذين حكموا اليمن وكان لقبه الشعبى (أحمد ياجناه) تشبيها له بالجن .



أعضاء مجلس الثورة الذين اشتركوا فى الاتفاق مع مصر على تزويد الثوار بالسلاح وقاموا بتوصيله اليهم . من اليمين على محمد سعيد فمحمد قائد سيف فالبيضانى فالشهيد عبدالقوى حايم .



أول سرية عسكرية مصرية تصل لميناء الحديدة فى ٥ أكتوبر ٦٢ وكان فى استقبالها البيضانى والعميد على عبد الخبير وفى أقصى اليسار مندوب المشير عامر العقيد محمود فهمى عبد الرحمن .

٤

كيف تطور الدور المصرى ؟

أفزعتنى رسالة المشير عامر حين أبلغنى أنه المسئول عن اليمن مادامت فى حماية جيشه ، فداهمتنى أشباح الانفصال السورى ، بينما كنت أعيش أمل الوحدة الذى تعثر فى الشام فأردنا إحياءه من اليمن . وكنت أعرف أن صراعا نشب ، حتى العظم ، بين عبد الناصر والمشير منذ حرب ١٩٥٦ ثم نفذ إلى نخاع القيادة المصرية باختيارات المشير وسلطان حاشيته التى أسهمت فى مناخ الانفصال ، كما عاصرت عبد الناصر وهو يحاول إبعاد المشير عن القوات المسلحة ففقد سلطانه عليها لكننى ظننت أنه بعد أن ضيع عبد الناصر بلح الوحدة فى الشام فإنه لن يسمح بإتلاف عنب الوحدة من اليمن ، فاعتقدت أن ما حدث فى دمشق لا يتكرر فى صنعاء .

□ السادات سفير مصر فى اليمن □

كان الاتفاق مع عبد الناصر أن يكون السادات سفيرا لمصر فى اليمن . وكان السادات يعتبر إشتراكه فى صياغة التاريخ العربى من اليمن أكثر نفعا من رئاسته لمجلس الأمة فى مصر ، فحين وصل إلى صنعاء كنت سعيدا بمجيئه بعد ميلاد الثورة التى اشترك فى حملها ، ثم تطوع بالاشتراك فى حضانتها وحمايتها فى مهدها ، لكنه فاجأنى بأن عبد الناصر استجاب لإصرار المشير ، بعد أن أرسل الينا طياريه لقيادة الطائرات الثلاث التى اتفقنا عليها اثناء تجهيز الثورة فأخذت الطيارين الى أحد قصور الإمام .

□ كلمة لابد منها □

أعترف بالحرج حين أكتب عن الخلاف الذى طرأ على المنطلقات اليمنية المصرية فى إدارة شئون اليمن ، مما أثر على مسارها الدولى والعسكرى . ومبعث الحرج أننى كنت أحد أطراف الخلاف بعد الثورة ، قدر ما كنت أحد أطراف الاتفاق قبل قيامها .

لكن الذى يريح ضميرى أننى كنت حريصا على مصالح اليمن قدر حرصى على مصالح مصر ، وكنت بحكم تخصصى العلمى ، ومعرفتى بالواقع اليمنى ، والصالح المصرى ، لا أتردد حين اختلفت لصالح اليمن الذى كان كذلك صالح مصر .

وحين أسوق المبررات لموقف أو لأخر فاننى لا أقصد إنصاف هذا أو إدانة ذاك ، فتلك مهمة المؤرخين ، وموهبة المحللين . ولذلك أكتب ما حدث .. لأنه حدث .. فأصبح صفحة فى سيرة مصر ، وسجلا فى تاريخ اليمن .

□ بداية الخلاف السياسى □

كنت أنتظر أن تسارع حكومة ألمانيا الاتحادية (الغربية) إلى الإعتراف بالجمهورية اليمنية فكانت تربطنى علاقة صداقة مع وزير خارجيتها فون برنتانو عندما كنت وزيرا مفوضا فى بون فأطلعته على أحوال اليمن ، وبعد أن عزلنى الإمام وقرر قتلى أحاطنى بحراسة ألمانية وسمح لى بإلقاء محاضرة فى مدينة

دورت مونت يوم ٧ ديسمبر ١٩٦٠ أهاجم النظام الإمامى داعيا إلى الجمهورية[1] ، فلما تأخر إعترافه أرسلت أعاتبه فاعترفت حكومته بالجمهورية اليمنية . وكانت أول دولة غربية تعترف بها ، ثم تبعتها إيطاليا ، وتوالت اتصالاتنا بدول أوروبية أخرى ، وكنت على حذر من الاستراتيجية السوفيتية التى تطلعت إلى عدن عن طريق القاهرة .

لذلك عندما وصلتنى نصيحة سوفيتية نقلها مندوب مصرى أرسله عبد الناصر ينصحنى بإغلاق السفارتين الأمريكية والبريطانية لأنهما لم تعترفا بالنظام الجمهورى ، إعتذرت بأن وجودهما فى اليمن وقت الحرب أهم من وجودهما وقت السلم ، فعن طريقهما نستطيع تعريف واشنطن ولندن بنوايانا ، ولهما أعوان مندسون فى صفوفنا كانوا يخططون لثورة إمامية فسبقناهم بالثورة الجمهورية ، وفى وسعهم أن يشوهوا صورتنا إذا لم نزاحمهم فى عواطف من كانوا وراءهم .

---

(١) أصر على حضور هذه المحاضرة وزير اليمن المفوض فى بون المناضل الوطنى هاشم طالب فعزله الإمام ، وكان قبل أن يشغل هذه الوظيفة مديرا لمكتب البدر ولى العهد وكنت قبل فرارى من سيف الإمام (يناير ١٩٦٠) أحضر فى بيته ندوات وطنية وسرية ويومية حضرها معنا جمع من الأحرار فى مقدمتهم الشهيد سعيد فارع الذى أعدمه الإمام فى تلك الأثناء والسيد حسين المقدمى مدير مستشفى الحديدة والشهداء الملازم محمد صالح العلفى والملازم عبد الله اللقية والملازم محسن الهندوانة الذين استعجلوا بمحاولة التخلص من الإمام أحمد يوم ٢٦ مارس ١٩٦١ قبل إكتمال الحد الأدنى من عناصر النجاح فى التخلص من النظام الأمامى وإقامة الجمهورية .. أطلقوا رشاشاتهم على الإمام فى هذه المستشفى وتركوه معتقدين أنهم قتلوه .. هتفت جموع الشعب للثوار ، وعندما تبينت أن الإمام لم يمت قبضت عليهم وهتفت للإمام الذى أصيب بإصابات خطيرة أودت بحياته يوم ١٩ سبتمبر ١٩٦٢ أى قبيل قيام الثورة الناجحة بأسبوع واحد .

سألنى المندوب المصرى عما إذا كنت أعرف قاعدة دولية تسمح ببقاء سفارة لدولة على أراضى دولة لا تعترف بها ، قلت إن القانون الدولى عبارة عن سوابق تحدث لأول مرة ، وعندما يثبت نفعها فإن دولا أخرى تطبقها ، وبتكرار السوابق يتعارف المجتمع الدولى على اعتبارها من قواعده . ولتكن هذه سابقة أولى تهديها حكومة اليمن إلى المجتمع الدولى ، لعلها تصبح من قواعده منسوبة الينا .

□ بترول الخليج □

كان وقوع الجزيرة العربية فى قبضة الشيوعية شبحا يسيطر على الساحة اليمنية ، وكانت المساعدات العسكرية المصرية المرتبطة بالعلاقات السوفيتية أهم العناصر التى جسمت ذلك الشبح . وكثيرا ما حدثنى الوزير البريطانى المفوض عن اعتقاد حلف الأطلنطى بأنه إذا كان عبد الناصر يستهدف مساعدة الثورة اليمنية فحسب ، فان السوفيت سوف يدفعونه إلى التوسع فى الجزيرة متطلعين الى بترول الخليج بعد أن خسروا أزمة الصواريخ فى كوبا فى نفس ذلك العام (١٩٦٢) .

فكان علينا إثبات عكس ذلك ، ولا ننتظر حتى يضطر عبد الناصر إلى نفيه (بعد فوات الأوان) فى تصريح لصحيفة الجارديان حين حاول نفى عزمه على (أن تنزل القوات المصرية إلى عدن والجنوب اليمنى ثم تتجه يسارا إلى الخليج وتستولى على البترول وتضعه تحت النفوذ الروسى) « الأهرام ٢٠ يوليه ١٩٦٦) .

لم تكن لنا خارج حدودنا سوى المودة فى القربى . وكانت دول حلف الأطلنطى تنظر إلى مصر بعين لا تنام بعد الوحدة المصرية السورية ، وما أعقبها من ثورة فى العراق ، وما سبقها من ثورة فى الجزائر . وما تلاها بثورة اليمن ، وكانت مصر القاسم المشترك الأعظم فى كل هذه الأحداث ، شرقا وغربا وجنوبا .

□ كيندى وماكميلاند □

فكان الحفاظ على هذه المكاسب القومية يقتضى استيعاب الظروف العربية ، والتوازن الدولى المسيطر عليها ، والذى عندما يتعرض لأى خلل فإنه يتحول طبقا لقواعد الحرب الباردة إلى حرب ساخنة ، من دماء الشعوب التى يطرأ عليها الخلل ، ولذلك حاولت تجنيب اليمن ، ومن خلفها مصر ، الوقوع فى هذا المحظور فأبقيت على السفارتين الأمريكية والبريطانية وتبادلت الرسائل مع الرئيس الأمريكى كيندى حتى اعترف بجمهوريتنا ، ثم رئيس الوزراء البريطانى ماكميلاند حتى اتفقنا على حق شعب الجنوب اليمنى المحتل فى تقرير مصيره .

وكانت أغلبية رجاله المقاتلين وكلهم شوافع قد تدفقوا على صنعاء لحماية الجمهورية تأكيدا للوحدة اليمنية ، فى مواجهة المتمردين من الزيود الذين رفضوا جمهورية العدالة والمساواة ، وكان ذلك محورا رئيسيا من محاور الخلاف السياسى الذى انعكس على الموقف العسكرى على نحو ما سوف يرد فى سياق الأحداث .

□ بداية الخلاف الاقتصادى □

كذلك كان علينا أن نبرر عمليا قيام الجمهورية ولذلك أسرعنا إلى جذب إنتباه اليمنيين إلى المعركة الحضارية ، فقررنا إنشاء أول بنك يمنى لتجميع أموال اليمنيين المقيمين والمهاجرين ، فأعلنت فى مؤتمر شعبى إنشاء البنك اليمنى للإنشاء والتعمير وعينت له مجلس إدارة برئاسة الدكتور حسن مكى (نائب أول رئيس الوزراء حاليا) وناديت اليمنيين المقيمين والمهاجرين إلى الأكتتاب فى أسهم البنك ، وأرسلت وزير شئون المغتربين محمد مهيوب ثابت عضو مجلس قيادة الثورة يزف البشرى إلى المهاجر اليمنية فاندفع اليمنيون بأموالهم إلى اليمن فقررنا زيادة رأس مال البنك .

وتصادف أن عاد السادات إلى اليمن يوم ١٦ أكتوبر ١٩٦٢ ومعه خبراء كانت مهمتهم فتح فرع لبنك مصر فى اليمن ، فعقدت اجتماعا مشتركا حضره السادات ومجلس إدارة البنك اليمنى وخبراء بنك مصر وشرحت أسباب إعتذارى عن عدم استحسان فتح هذا الفرع فى اليمن لأننا استهدفنا من إنشاء البنك اليمنى تجميع أموال اليمنيين المقيمين والمهاجرين فى صورة أسهم ، وليس فى صورة ودائع وحسابات جارية كما يفعل بنك مصر (بعد تأميمه) فذلك لا ينفعنا فى خطة التنمية الاقتصادية فى مرحلة عسكرية لتثبيت الجمهورية .

وعلى الجانب المصرى لا يستطيع بنك مصر العمل فى ظل المستوى المصرفى الذى كان فى اليمن تحت الصفر ، مما

يعرضه لخسائر فادحة فوافق السادات على تكليف خبراء بنك مصر بمساعدة البنك اليمنى فى أعماله التأسيسية (الأهرام ١٨ نوفمبر ١٩٦٢) . (ملاحظة : عاد بنك مصر اليمن بعد خروجى من الحكم ثم أغلق أبوابه بعد خسائر فادحة) .

□ الوحدة اليمنية المصرية □

كانت المنطقة الشافعية التى تضم الأغلبية العظمى من سكان اليمن تناصر الجمهورية فأردت إثبات سيطرة الجمهورية على معظم اليمن أرضا وسكانا حتى ننتزع موقعنا فى الأمم المتحدة من مندوب الإمام المخلوع ، فذهبت مع صحفيين عرب وأجانب الى مدينة تعز حيث احتشد أكثر من نصف مليون مواطن يهتفون بالوحدة مع مصر فكتبت صحيفة الأخبار القاهرية أننى أجبت على الجماهير بأن (الوحدة مع مصر .. آتية لا ريب فيها ، لكن القاهرة ترى أن الوحدة تسبقها خطوات لابد من اتخاذها (صحيفة الأخبار ٢١ أكتوبر ١٩٦٢) وكان عبد الناصر يرى عدم التفكير فى الوحدة الا بعد عودة آخر جندى مصرى من اليمن (وكان ذلك مقررا فى موعد غايته يناير ١٩٦٣) ثم يجرى بعد ذلك استفتاء شعبى فى كل من مصر واليمن .

□ بعثة مصرية إشتراكية □

بعد أن أمضيت سبع سنوات فى ألمانيا أدرس مع أساتذة الإقتصاد كيف يكون الإصلاح الإقتصادى فى اليمن أشفقت

عليها من إنفرادى بوضع برنامجها الإصلاحى ، فطلبت من عبد الناصر مساعدتنا ببعثة إقتصادية تشاركنا تقييم ما سبق أن أعددته من دراسات قبل الثورة ، فأوفد إلينا بعثة برئاسة الدكتور حسين خلاف وزير التجارة الخارجية الذى فاجأنى بمجلد مطبوع فى مصر يتضمن تفاصيل المخطط الاقتصادى الذى يريد تطبيقه فى اليمن .

اعتذرت بأننى طلبت بعثة تدرس معنا ما يصلح لليمن .عندما يتفق مع ظروفها الموضوعية ، فلا ننقل إليها خطة مستوردة من بلد ظروفه تختلف عن ظروف اليمن ، ثم وزعت أعضاء البعثة على الإدارات الحكومية والمواقع التى يمكن أن تعطى للبعثة المعلومات الضرورية .

وبعد أسبوعين طلبت منى البعثة توزيع الأراضى الزراعية بواقع خمسة أفدنة على المعدمين فاعتذرت بأننا لن نكرر ما حدث فى سوريا وكان أهم عوامل الإنفصال ، حيث لم يتوقع الشعب السورى القوانين الاشتراكية والتأميم والإصلاح الزراعى . فإستغل ذلك قادة الإنفصال بعد شهرين إثنين من قرارات يولية ١٩٦١ الإشتراكية وقاموا بانقلابهم يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ وأعلنوا فى بيانهم الأول (أنهم يرفضون إشتراكية عبد الناصر لأن الشعب السورى يرفضها جملة وتفصيلا) .

شرحت للبعثة الفارق بين اليمن ومصر حيث يوجد فى مصر (سنة ١٩٦٢) سبعة ملايين فدانا صالح للزراعة وثلاثون مليون مواطن ، بينما فى اليمن ثلاثون مليون فدانا صالحا

للزراعة وسبعة ملايين مواطنا ، ثم أننى لا أقر (قانون الإصلاح الزراعى) لأن وصف الإصلاح الزراعى يعنى علميا إصلاح الإنتاج الزراعى بينما يستهدف هذا القانون رفع سيطرة أصحاب الملكيات الكبيرة عن العمال الزراعيين ، وهو هدف سياسى يتناقض مع الإصلاح الانتاجى ، لأنه يؤدى إلى تفتيت الوحدات الزراعية فتتناقص غلتها الاقتصادية .

شرحت للبعثة خطتى الزراعية للأراضى المملوكة للدولة ، وهى إنشاء شركات زراعية ذات مساحات كبيرة يكون نصيب الدولة فى رأس مالها بثمن الأرض التى تقدمها إلى كل شركة ، ونصيب المستثمرين على قدر رأس المال النقدى الذى يقدمونه عن طريق الاكتتاب العام . ثم طلبت من مصر اثنين وخمسين خبيرا فنيا سلمتهم مهام مناصبهم فى الوزارات التى أنشأناها بعد الثورة .

اختلفت مع البعثة المصرية على ميلاد اقتصاد يمنى اشتراكى بقطاعه العام الذى يعتمد على الاقتراض من الخارج ، متمسكا بتشجيع أصحاب الأموال اليمنيين الذين بنوا ثرواتهم خارج اليمن واستمالتهم إلى العودة ، وكان مئات الألوف من المهاجرين قد هاجروا من فساد النظام الإمامى ويحلمون بالعودة بخبراتهم وأموالهم إلى أحضان الجمهورية ، فلا يجوز أن نثير فى نفوسهم الرعب الاشتراكى وهم خارج اليمن يراقبون رياح الاشتراكية التى تذيع أناشيدها من مصر .

كانت البعثة المصرية حديثة عهد بقرارات عبد الناصر

الاشتراكية التى أعلنها فى صراعه مع حزب البعث ، بعد أن فاجأه قادة الحزب باستقالة جماعية يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٥٩ ، وكانوا يرفعون شعار الإشتراكية دون تطبيقه ، لأنهم لا يعرفون مضمونه ، وهذا ما سجله قطب البعث الدكتور سامى الجندى أحد رؤساء وزرائه فى كتابه (البعث صفحة ٦٧) فقال (جئنا نحن البعثيين .. إلى الحكم .. على وجوهنا إبتسامة النصر نبحث عن مكان الصدارة .. كل منا يشرح فكرة البعث على هواه ويتخذ مظاهر الفيلسوف .. وظل البعث بلا أيديولوجية .. مثلنا مثل الذى يسأل عن دينه فيطلب اليه أن يؤمن فقط) .

◻ تحت المقصلة ◻

موقفى من الماركسية وذيولها الاشتراكية ثابت من قبل قيام الثورة المصرية وهو موقف مسجل فى مجلد حلقة الدراسات الاجتماعية الذى طبعته جامعة الدول العربية عام ١٩٥٢ وكنت واثقا (لأسباب علمية) من حتمية سقوط الماركسية وذيولها الاشتراكية وسجلت ذلك فى كتابى (لهذا نرفض الماركسية طبعة القاهرة ١٩٧٤) وأكدت فى صفحة ١٨٨ (أن الماركسية سوف تسقط فى الاتحاد السوفيتى نفسه ومن يعيش ربع قرن سوف يشهد صحة هذا الرأى) .

وفى محاضرة أمام لجنة الاستماع بمجلس الشعب المصرى يوم ١١ مارس ١٩٧٥ شرحت أسباب حتمية إلغاء القوانين الاشتراكية . وفى محاضرة أخرى على هيئة تدريس جامعة

الأسكندرية يوم ٢٧ مايو ١٩٧٥ ناقشت مع أساتذة الجامعة التشريعات التى يلزم تغييرها حتى تستعيد مصر موقعها من التكامل الإقتصادى العربى (كتابى .. نكبة الشعارات على الأمة العربية ١٩٧٥) .

كان عبد الناصر يرفع شعار العدالة الإجتماعية ويشجع الشركات الخاصة ، (خطابه أمام الوفود اللبنانية يوم ٥ مارس ١٩٦١) . ورغم ذلك كتب السيد على صبرى فى صحيفة الأهالى يوم ٢٨ يوليه ١٩٨٢ أن (اختيار عبد الناصر الاشتراكى كان محددا وسابقا لقيام الثورة .. لكنه لم يفصح عنه عند قيام الثورة لأن جزءا كبيرا من زملائه لم يكن ليشارك فيها أصلا .. ولأن الشعب نفسه لم يكن مؤهلا لقبول كلمة اشتراكية) .

ونسى على صبرى أن عبد الناصر أعلن أمام اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية يوم ٢٥ نوفمبر ١٩٦١ قائلا (لو طلبتم منى محاضرة يوم ٢٣ يوليه ١٩٥٢ لقلت لكم محاضرة فى التكتيك أو أى موضوع عسكرى ، إن ظروفنا قضت بأن يكون تطبيقنا الثورى سابقا للنظرية الثورية) .

بعد أن أعلن عبد الناصر اختياره الاشتراكى فى يوليه ١٩٦١ رفع الشعار الاشتراكى (الكفاية والعدل) وكنت فى اليمن اتفق معه فى مبدأ (العدل) واختلف معه فى أسلوب (الكفاية) لأن الكفاية لا تتحقق إلا بالإنتاج ، والمزيد من الانتاج . لذلك كنت أرفع شعار الإسلام (الانتاج والعدل) .

والانتاج يستلزم تشجيع جميع وسائله ، الخاصة والعامة ، الفردية والجماعية ، وإستمالة أصحاب المبادرات الخاصة من اليمنيين ، المقيمين والمهاجرين ، مع العرب والأجانب ، وكل من يغرس شجرة أو ينقش حجرا فى اليمن .

كان خلافى مع البعثة المصرية على (إنتاجية الأنتاج) وليس على (عدالة العدل) وأشار إلى هذا الخلاف المؤرخ (دانا أدمز شميت) فى كتابه (اليمن .. الحرب المجهولة صفحة ٧٥ طبعة ١٩٦٨ Dana Adams Schmids Yemen the Unknown war فقال (بالرغم من صداقة الدكتور البيضانى للرئيس عبد الناصر فإنه رفض أن يطبق سياسة عبد الناصر الاقتصادية فى اليمن) .

كان ذلك الخلاف الاقتصادى غريبا على العلاقات اليمنية المصرية ، وكان من يعارض الاشتراكية يضع رأسه تحت المقصلة .

فوضعتها ..

نشر فى مجلة اكتوبر العدد ٨٣٣ فى ١٩٩٢/١٠/١٨



السادات والسلال وكمال رفعت والبيضانى بعد توقيع اتفاقية الدفاع المشترك بين اليمن ومصر (أكتوبر ١٩٦٢) .

البيضانى وبجواره من اليسار العقيد اليمنى حسن العمرى (فريق فيما بعد) ثم العميد المصرى على عبدالخبير
يستقبلان أول طيارين مصريين



السلال يتلو على البيضانى اثناء مرضه البرقيات المتعلقة بمواقف ساحات القتال المتعددة .

٥

مندوب عبد الناصر حاول الوقيعة بيننا..
ومندوب المشير حاول أن يكون
« المندوب السامى »!!

وضعت رأسي تحت المقصلة الاشتراكية ، أما إيماني بالوحدة العربية فلا يحتاج إلى إثبات ، التزمت بشروط التكامل الاقتصادي العربي ، التي تسمح لكل إقليم عربي بأن يستخلص منهاج تطوره من واقع ظروفه ، ضمن الإطار الاقتصادي العربي العام ، مع الترحيب بالتطور المستمر نحو الأفضل . وبعد أن كنت أدعو إلى ذلك قبل الثورة شاء قدري أن أصبحت ملتزما بتطبيقه بعد أن توليت السلطة .

ولم يكن لمثلي أن يبالي إذا كان في ذلك مصرعه .

انتهت مهمة العميد على عبد الخبير وتعرفنا على ما يلزمنا من أسلحة فأرسلنا وفدا يحمل قوائم السلاح المطلوب برئاسة محمد قائد سيف وزير شئون رئاسة الجمهورية الى الاتحاد السوفيتي الذي كان يتوقع أن يركب ظهورنا الإسلامية في طريقه إلى الجزيرة العربية ، وكنا مضطرين إلى هذه الأسلحة للدفاع عن الجمهورية . وكان لكل منا حساباته ، ورهانه على أهدافه . وتلك طبيعة السياسة الدولية .

□ أبطال الانفصال السوري في اليمن □

لم يتجاوز عدد القوات المصرية في اليمن حتى ٢١ أكتوبر ١٩٦٢ ألفي رجل تولى قيادتهم اللواء أنور القاضي ، وكان من بلاط المشير الذي أسهم في تهيئة المناخ الانفصالي في سورية ،

ثم تطلع الى موقع المندوب السامى فى اليمن ما دامت فى حماية قواته ، فأردت ترشيد علاقته باليمنيين ، لا سيما بعد أن سلمنى العقيد غالب الشرعى مدير الأمن منشورات بعثية بعنوان (أيها المصريون ارفعوا أيديكم عن اليمن) . فوصل إلينا المشير عامر يوم ٢٧ أكتوبر ١٩٦٢ وبصحبته شمس بدران وعلى شفيق ، ليوصينى باللواء القاضى فرجوته ألا يغذى الحملات الأجنبية التى تثير حساسية اليمنيين ، بعد أن نجحت فى إثارة مشاعر السوريين ، فذهبنا معا على طائرة حربية نتفقد المواقع الأمامية .

□ أريد حياته ويريد قتلى □

أثناء التجهيز للثورة طلبت من عبد الناصر مساعدتنا لإنشاء جهاز أمن يمنى ، فأرسل إلينا اللواء عزت سليمان وكيل المخابرات العامة (حاليا بالمعاش) الذى حاول اثناء تجهيز الثورة إفساد علاقتى بالزميل محمد قائد سيف وإقناعه باستحالة قيامها ، وحاول من خلف ظهرى تجنيده فى أعمال فدائية فى عدن ، فأجابه بأنه مع البيضانى فى أن طرد الأنجليز من الجنوب لا يتحقق الا بعد طرد الإمام من الشمال ، فقرر عبد الناصر منعنا من الاتصال به وحصر علاقتنا بالسادات واللواء صلاح الحديدى مدير المخابرات الحربية الى أن نستكمل تجهيزات الثورة .

فعندما وصل عزت سليمان إلى اليمن حاولت إرضاءه لنبدأ صفحة جديدة من أجل المستقبل الجديد ، فأبلغنى السادات

ان الرائد محمود عبد السلام (لواء بالمعاش حاليا) هو الذى سيتولى إنشاء جهاز الأمن اليمنى ، وأن مهمة عزت سليمان تنفيذ عملية (صلاح الدين) الاسم الرمزى لعملية لطرد الانجليز بالقوة من جنوب اليمن ، والتى كان قد روجها لعبد الناصر قبل قيامنا بالثورة .

□ نابوليون وهتلر □

استهدفت عملية صلاح الدين فتح جبهة قتال فى جنوب اليمن ، فعارضت ذلك لأن جبهة قتالنا فى شمال اليمن كانت مفتوحة فى مناطق جبلية وعرة ، ولم يكن من المنطق أن نفرض على انفسنا القتال فى جبهتين فنصبح بين المطرقة والسندال !! وكاننا لم نستوعب مأساة نابوليون وهتلر عندما دفعهما غرور القوة إلى توسيع جبهات القتال فمات الأول فى سجه وانتحر الآخر فى عقر داره .

وكنا قد توصلنا إلى اتفاق مع بريطانيا على حق شعبنا فى الجنوب فى تقرير مصيره (كما سبق فى حلقة سابقة) ، وكانت الوحدة اليمنية الهدف الذى دفع أبناء الجنوب إلى القتال فى الشمال ، وكان الإنجليز يعرفون ذلك وهم يتأهبون للرحيل لأسباب اقتصادية بعد أن فشل عدوانهم الثلاثى على مصر . فهداهم علم الاقتصاد الى ان حماية مصالحهم البترولية من مضيق هرموز أسهل وأرخص من حمايتها من باب المندب .

لم يستوعب عزت سليمان المتغيرات التى طرأت بقيام الثورة وأثر ذلك على السياسة البريطانية ، فاستمر فى إقناع القيادة

المصرية بفتح جبهة الجنوب قبل أن نغلق جبهة الشمال ، وضرب بسياستنا الدولية عرض الحائط .

لا يتسع المجال لشرح عملية صلاح الدين ، وكيف بدأها المصريون ، ثم اختطفها الروس ، وكيف سلطوها على المصريين ، وكيف استولى عليها الانجليز من الروس ثم أبقوا عليها الروس ، وكيف انتفع الإنجليز من ندائها الروسى فى الجنوب اليمنى لاثارة الذعر فى الخليج العربى كى يدفع لهم ثمن حمايته .

ثم كيف اشتركت مصر فى دفع الثمن !! ومعها شعب اليمن !!

وهذا تاريخ ثابت ، موثق ، لا جدال فيه ، لا أسجله وإنما أبكيه وأرويه .. لأنه جزء من فصول الرواية .

□ اختلاق الفتنة مع السلال □

سألنى السلال هل أنوى القيام بانقلاب ضده ؟ فسألته لماذا يظن ذلك ؟ قال أن عزت سليمان حذره منى ، ولما سألت عزت سليمان قال انه سمعنى أخطب كعادتى والسلال فى مسجد بعد صلاة الجمعة خطبة مذاعة فقلت (اننا إذا عجزنا عن تحقيق أهداف الثورة فإن الشعب اليمنى سيحتاج إلى ثورة جديدة) فخشى من إنقلابى على السلال فحذره . وكان جوابه لا يحتاج منى إلى تعليق ، بعد أن ترك جرحا فى قلب السلال الذى تلقى معلومة رسمية من وكيل المخابرات المصرية فكتبها

فى رسالة الى عبد الناصر الذى استنكرها لكنه لم يعاقب من اختلقها .. لأنه من بلاط المشير .

بعد أن تفرق الجيش اليمنى الزيدى الذى ورثناه عن الإمام كان اعتمادنا على الحرس الوطنى الذى أنشأناه من المتطوعين ، وكانوا من أبناء المنطقة الشافعية فخشى السلال الزيدى من بروز الحرس الوطنى كقوة عسكرية شافعية لأول مرة فى تاريخ اليمن منذ ألف ومائة عام ، فأقنع اللواء القاضى بأن قتالهم فى المناطق الشمالية الزيدية المتمردة يثير مشاعرها الطائفية ، وكان عزت سليمان يتطلع إلى إعادة هؤلاء المتطوعين الشوافع الى منطقتهم لقتال الإنجليز فى جبهة الجنوب ، وفرح اللواء القاضى بأن تتحمل القوات المصرية وحدها أعباء القتال فى جبهة الشمال فتصبح له كلمة نافذة على اليمن .

□ عبد الناصر والقرار الأخير □

لم أستطع إيقاف عملية صلاح الدين ، بعد أن اختلطت أوراق المنطق السياسى ، فالسلال وقع فى قبضة عزت سليمان ، والحرس الوطنى حرموه من شرف الدفاع عن الجمهورية ، ولم يستوعب لماذا يقاتل الإنجليز فى عدن ويترك المتمردين فى صنعاء ، وقائد القوات المصرية يرحب بالانفراد بالمسئولية ، والسادات يخشى من المشير ، وعبد الناصر لا يملك القرار الأخير . فانصرفت إلى المعركة الدولية لعلنى أرقع علم الجمهورية الذى بدأ يتمزق بين أيدينا .

□ شيوعيون لم يقرأوا عنها !! □

واصلت الطرق على نافذة الاعتراف الأمريكى محذرا من اتساع الباب الروسى فسلمنى الوزير المفوض يوم ١٨ نوفمبر ١٩٦٢ رسالة من الرئيس كنيدى وصرح للصحفيين بأن (حكومته تدرس بعناية وجدية مسألة الاعتراف بحكومة اليمن) وقال (أنه لمس تأييد الشعب اليمنى للثورة والهدوء الذى يسود البلاد) . (الأهرام ١٩ نوفمبر ١٩٦٢) .

أعطانى الوزير الأمريكى ، أثناء هذه المقابلة ، قائمة بأسماء سبعة عشر يمنيا وصفهم بأنهم شيوعيون ، فأجبت بأنهم ثلاثة وأربعون لكنهم تحت المراقبة الدقيقة ، وبدأ انتماؤهم للشيوعية فى عهد الإمامة ، وهم لم يقرأوا شيئًا عنها ومن قرأها منهم لم يفهم منها شيئًا ، لكنهم تصوروا أنها تعنى التقدمية وهى الشعار الرائج فى أسواق الدول النامية كرد فعل طبيعى للسياسات الاستعمارية ، ومع ذلك فإن كثيرا منهم فى طريقهم إلى الثراء بفضل الوكالات التجارية التى يتأهب الروس لمنحها لهم تشجيعا لغيرهم وهكذا ينوب الروس عنا فى خلق نقيض مبادئهم .

ثم سألته لو أنه كان فى موقعى هل يتخذ ضدهم أى إجراء بينما تتدفق أسلحة الأمريكيين على المتمردين فندافع عن أنفسنا بأسلحة الروس ؟ فكان جوابه فى صحيفة نيويورك تايمز يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٦٢ فى مقالها الافتتاحى أن (حكومة الثورة اليمنية تسيطر سيطرة تامة على جميع أراضى اليمن وأن

هذه السيطرة كافية للاعتراف بنظام الحكم الجديد) وقالت ان (الحكومة اليمنية استبدلت بنظام الإمامة البائد نظاما يعد نواة لنشر الأفكار الديموقراطية والتقدمية فى سائر أنحاء الجزيرة العربية) .

□ هزيمة فرضناها على أنفسنا □

رغم اقترابنا من النصر الدولى جاءنى اللواء القاضى يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٦٢ وأبلغنى بأن قواته المدرعة المسيطرة على منطقة جبل رأس العرقوب مستعدة للزحف إلى منطقة جبل رأس الوتدة الزيدية حيث توجد بعض القلاقل تعوق الوصول إلى منطقة مأرب ، وطلب موافقتى على الزحف مع تعزيز القوات المصرية بمقاتلين من قبائل البيضاء الشافعية ، فاعترضت موضحا أن نجاح معركتنا الدولية جعل المتمردين يشعلون حرائق صغيرة لأغراض دعائية ، وليس من صالحنا أن نضرم بأنفسنا حريقا كبيرا لا نضمن نتائجه فى جبال منطقة زيدية وعرة ، ولا يضيرنا أن نصبر عليها حتى تقتنع بأن الجمهورية قامت من أجل مستقبلها الأفضل بعد أن بدأنا مشروعاتنا العمرانية .

قلت للواء القاضى ان قبائل البيضاء قبائل شافعية وذكرته بموقف السلال من الاستعانة بالشوافع فى المناطق الزيدية المتمردة ، بينما إذا أبقينا قواتنا الضاربة فى جبل رأس العرقوب فانها تحافظ على وضعها الحاكم والمسيطر على المنطقة الشرقية كلها حتى صنعاء وبدون قتال فنتحاشى المغامرة . قال

اللواء القاضى أنه يضمن نتائج هذه المعركة ورضاء السلال بالاستعانة بقبائل البيضاء فاضطررت إلى الموافقة ، وكلفت العقيد حسن العمرى (الفريق رئيس الوزراء فيما بعد) قائد منطقة جحانه بأن ينتقل إلى منطقة رأس العرقوب مع التعزيزات التى طلبها اللواء القاضى .

طلب العقيد العمرى مصفحتين من صنعاء ليبدأ الزحف فأرسلتهما ، ثم طلب مصفحتين أخريين فاعتذرت حيث لم يبق معنا فى صنعاء سوى خمس مصفحات كلفتها بالدوران حول صنعاء كى تشعر أهلها بالاطمئنان أمام الدعايات المغرضة .

أتم العقيد حسن العمرى مهمته ، لكن اللواء القاضى أبلغنى بأن مجموعة صاعقة بقيادة الرائد المصرى عبد المنعم سند حوصرت فوق قمة جبل رأس الوتده ، وأنه قرر تعديل المواقع بسحب القوات المصرية المدرعة من رأس الوتدة وإرجاعها إلى حيث كانت على جبل رأس العرقوب . فأدركت أننا سقطنا فيما كنت أخشاه ، وأن القوات اليمنية فى رأس الوتدة ستصبح بغير غطاء مصرى مدرع كما خشيت من آثار ذلك إعلاميا على مكاسبنا الدولية ، فرفضت خطة تعديل مواقع القوات لأنها تعتبر انسحابا جمهوريا يحدث لأول مرة .

وافقنى اللواء القاضى فأخذته على طائرة مع العميد عباس فهمى مدير شئون القبائل بالقيادة المصرية وأعضاء مجلس قيادة الثورة النقيب محمد قائد سيف والعقيد حسن العمرى والنقيب حسين الدفعى ومساعد وزير الداخلية العميد محمد عبد الواسع نعمان إلى رأس الوتدة حيث فوجئت بأن المدرعات

المصرية أخذت وضع الانسحاب ، ولما عاتبت اللواء القاضى على ذلك تعهد مرة أخرى ببقاء المدرعات فى مواقعها فطلبت له المزيد من قبائل البيضاء تعزيزا لموقفنا العسكرى الذى فرضناه على أنفسنا دون مبرر ، وعينت النقيب محمد قائد سيف قائدا يمنيا فى هذه المنطقة (اللواء حاليا) .

□ رأس الشهيد المصرى □

ثم غامرت سيرا على الأقدام الى قمة جبل الوتدة لإنقاذ الرائد المصرى عبد المنعم سند ورجاله الستة المحاصرين فتبعنى اللواء القاضى والعميد عباس فهمى والنقيب محمد قائد سيف والعقيد حسن العمرى والنقيب حسين الدفعى وقبائل البيضاء تحت غطاء المدرعات المصرية ، وحين اقتربنا من الجبل فاجأنى العقيد حسن العمرى بضربة على ظهرى اخذتنى معه إلى الأرض لحمايتى من طلقات الرصاص التى انهمرت فوق رؤوسنا . وسقط من حولنا سبعة شهداء أغرقت دماؤهم جبهتى عندما كنت منبطحا بجوار العقيد العمرى .

وعندما وصلنا إلى الجبل ابلغنا رسولنا الذى صعد إلى قمته بأن الرائد سند ورجاله الستة قد فصلت رؤوسهم فنظرت بمرارة إلى اللواء القاضى ، وكلفت إذاعة صنعاء بإذاعة بيان رسمى ، حفاظا على موقفنا الدولى ، جاء فيه (عاد إلى صنعاء ليلة أمس الدكتور عبد الرحمن البيضانى نائب رئيس الجمهورية اليمنية ووزير خارجيتها بعد أن قام بجولة فى الخطوط الأمامية زار خلالها المواقع العسكرية فى منطقة رأس

الوتده وأشرف على عملية تطهيرها من المتسللين بعد القضاء عليهم نهائيا ورافق الدكتور البيضانى فى هذه الجولة النقيب محمد قائد سيف وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية والعقيد حسن العمرى وزير المواصلات والنقيب حسين الدفعى وزير العمل) (صحيفة المساء المصرية ٢ ديسمبر ١٩٦٢) .

استدعيت الوزير المفوض البريطانى وشرحت له ضآلة ما جرى فى منطقة رأس الوتدة وسألته عن نتائج زيارة الوفد البريطانى الذى اصطحبته فى زيارة العديد من المناطق اليمنية ، فنشرت صحيفة صنداى تايمز فى اليوم التالى (٣ ديسمبر ١٩٦٢) مقالا للمستر ريتشارد تافرن عضو الوفد البريطانى قال فيه (إن شعبية حكومة الثورة باليمن لا يرقى إليها الشك وهى تسيطر سيطرة كاملة وحازمة على البلاد .. وأن بريطانيا لا تستطيع أن تظل محل عداوة لثورات الشرق الأوسط ، وأن الأمل فى عودة الملكية إلى اليمن يعتبر وهما كبيرا وإغراقا فى الخيال ، وأن نظام الحكم الجديد فى اليمن هو أفضل كثيرا من نظام حكم الأئمة السابقين ، وأن كل إنسان فى بريطانيا يؤيد بحماس ما تحاول الحكومة الجديدة فى اليمن أن تقوم به) .

□ مفاجأة لا تخطر على بال □

وعلى نقيض اتفاقى مع اللواء القاضى أبلغنى بأنه سحب مدرعاته ، وأثناء عودتها تسلق عليها رجال القبائل وتركوا معظم أسلحتهم وذخيرتهم وكل المواد الغذائية والأغطية ، ومن

لم يجد له مكانا على ظهر المدرعات جرى أمامها فى حمايتها .
وكان معنى ذلك أن قواتنا التى تركت أسلحتها وهرولت خلف المدرعات المصرية سوف تصل إلى صنعاء تحملنا مسئولية تعريض حياتها للخطر وإذلال كرامتها بالمهانة ، مما يخلق مناخا طارئا للذعر فى العاصمة .

هاج رجال الثورة على اللواء القاضى فعقدت اجتماعا حضره السلال والنقيب محمد قائد سيف والنقيب حسين الدفعى والنقيب عبد اللطيف ضيف الله وزير الداخلية وطالبت أغلبية المجتمعين بمحاكمة القائد المصرى لاتخاذه قرار الانسحاب رغم التعهد بنقيضه .

أوضحت أن ذلك ليس من حقنا ، وأن اللواء القاضى جاء متطوعا للدفاع عنا ، فعلينا الحفاظ على مشاعره ، ولما وجدت إصرارا على محاكمته قلت ان ذلك من اختصاص الرئيس عبد الناصر ، فطلب السلال أن أصيغ برقية إلى الرئيس تشرح له الموقف ليحاكم المسئول عن الانسحاب ، فكتبت البرقية بخطى ووقع عليها السلال وسلمها بنفسه إلى النقيب محمد عبد السلام محجوب رئيس قسم الشفرة الملحق لدينا برئاسة الجمهورية وفى اليوم التالى (٢ ديسمبر ١٩٦٢) وصل إلينا المشير عامر والسادات لمحاكمة المسئول عن الانسحاب .

وظهرت مفاجأة .

نشر فى مجلة أكتوبر العدد ٨٣٦ فى ١٩٩٢/١/٨



المشير عامر والبيضانى وحولهما اللواء أنور القاضى وعلى شفيق فى طائرة حربية .



البيضانى وخلفه المشير عامر ثم اللواء أنور القاضى يتفقدون المدافع الأمامية .

٦

السلال أعجبته العلامات العسكرية على معطف المشير عامر فخلعها ووضعها على كتفيه وأصبح برتبة مشير !

وصل إلينا المشير عامر والسادات يوم ٢ ديسمبر ١٩٦٢ لمحاكمة المسئول عن الانسحاب . فسألنى المشير (هل تريد حقيقة محاكمة المسئول عن الانسحاب ؟) قلت (لست وحدى الذى أراد ذلك) قال : (إذن حاكم عبد الناصر ، فهو الذى قرر الانسحاب) قلت (المسئول هو اللواء القاضى الذى حذرته من المعركة فصمم على تحمل نتائجها ، ثم انفرد بإرسال تقدير خاطىء للموقف إلى الرئيس) .

سألنى المشير (هل حذرته قبل الزحف) فشرحت حوارى مع اللواء أنور القاضى يوم الخميس ٢٢ نوفمبر ١٩٦٢ ثم سألت المشير لماذا سألنى بصيغة (هل تريد محاكمة المسئول عن الانسحاب) كما لو كنت وحدى الذى أريد ذلك ؟

قال إنه عندما وصل مع السادات إلتقيا بالسلال وعاتباه على تلك البرقية فاعتذر بأن البيضانى هو الذى كتبها ، فاضطر إلى التوقيع عليها ، فاستدعى المشير رئيس مجموعة الشفرة النقيب محمد عبد السلام محجوب واطلع على أصل البرقية فوجدها بخط البيضانى وتوقيع السلال فصدق روايته .

شرحت تفاصيل الاجتماع الذى أدى إلى إرسال البرقية . لكن المشير لم يتخذ قرارا بشأن اللواء القاضى . وشجعه على شراء ولاء المتمردين بالمال فاعترضت لأن المال يدفع إلى احتراف التمرد ، ولم نكن مضطرين إلى شراء الولاء ، وقد أثبتنا للرأى العام العالمى سيطرتنا على معظم أراضينا .

□ بروتوكول المشير عامر □

شاء القدر أن يؤكد للمشير ذلك فسمعنا من إذاعة لندن ، ونحن على مائدته ، تصريحا للمستر بيتس رئيس الوفد البريطانى البرلمانى ، الذى كان فى صحبتى أثناء زيارة المناطق اليمنية (قبل معركة الوتدة) فقال (إنه لا توجد فى اليمن مدينة أو قرية أو أى مكان له أهمية عسكرية أو سياسية لا تسيطر عليه حكومة الثورة ، وإنه لم يشاهد اثناء زيارته أى دليل يؤكد الادعاءات عن القوات المزعومة للامام البدر المخلوع ، وأنه يعكف على إنهاء تقريره إلى الحكومة البريطانية عن زيارة الوفد لليمن) .

فصحبت المشير لزيارة المواقع الأمامية للتأكد من سيطرتنا عليها ، وكنت اتقدمه عندما كنا نستعرض صفوف القبائل لأطمئنه من احتمال الغدر ، لكنه شكانى إلى عبد الناصر لأننى تقدمت عليه فى البرتوكول ، ورغم أننى لم أقصد ذلك أجبت عبد الناصر بأن ذلك ما يجب أن يكون أمام القبائل التى أثاروها بأن اليمن فقدت شخصيتها الوطنية .

□ إلقاء مكاتب الرئاسة بين الأشجار □

عاد المشير والسادات الى صنعاء يوم ١٤ ديسمبر ١٩٦٢ وبدأ المشير يعاتبنى بقوله (يا أخ عبد الرحمن أعطانا الأنجليز والفرنسيون إنذارا اثنتى عشرة ساعة قبل أن يبدأوا عدوانهم علينا سنة ١٩٥٦ وكانوا أعداءنا فكيف تعطينا إنذارا

ست ساعات وأنت أخونا ونحن ندافع عنكم ؟) .

استدعينا اللواء القاضى وشرحت تفاصيل ما حدث ، وهو أن قائد الحرس الجمهورى أبلغنى أن القيادة المصرية أخرجت مكاتب رئاسة مجلس الوزراء والوزارات اليمنية من القصر الجمهورى وألقتها فى فناء القصر وأقامت مكانها مفروشات لنوم طيارين وصلوا من مصر .

فطلبت من اللواء القاضى أن يعيد هذه المكاتب إلى أماكنها قبل أن يجتمع مجلس الوزراء الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم ، وفى المجلس وزراء بعثيون لن يجدوا للتشهير أكثر من احتلال القوات المصرية القصر الجمهورى وإلقاء مكاتب الرئاسة والوزراء بين أشجار الحديقة .

توقعت أن يصدر المشير قرارا بشأن اللواء القاضى لكنه نقل الحديث إلى السلال الذى حضر وعلى كتفيه رتبة مشير بعد أن تركناه فى الصباح برتبة زعيم (عميد) فأبلغنا أنه عندما دخل إلينا وجد معطف المشير عامر معلقا فخلع علامات المشير ووضعها على كتفيه لأن للمشير عامر علامات أخرى على حلته العسكرية ، وأنه كان يفضل أن يصدر بذلك قرار من مجلس الثورة ، لكن البيضانى رفض إدراجه فى جدول الأعمال ، كما رفض لنفسه رتبة فريق أول مثل مارشالات روسيا والصين وفيتنام . فقد كان معظمهم مدنيين تولوا قيادة الثورة الشعبية فأصبحوا مارشالات .

□ المال المصرى والتمرد اليمنى □

تزايد التمرد نتيجة لسخاء القيادة المصرية ، فكان بعض شيوخ القبائل يدفعون أصحابهم إلى التمرد ليستنزفوا الأموال المصرية باسم تهدئة المتمردين . وكان المتمردون يوزعون الأدوار بينهم ، بعضهم يحلب بقرة المصريين ، والآخرون يحلبون أبقار غيرهم ، ثم يقتسمون ما يحلبون بالعدل والقسطاس ، لا يجحف أحدهم حقوق الآخر .

اتقنوا مهنة التسلط على أموال المصريين والسعوديين . تلك المهنة التى أتقنوها فى مطلع هذا القرن أيام الحرب بين الإمام يحيى وغريمه الإدريسى ، وكان المقاتلون يقفون مع من يدفع لهم أكثر من الآخر ، وكانت موازين القتال تتحول من يوم إلى آخر بحسب المزايده التى تتأرجح بينهما فى سوق المعركة تحت بصر الإمام وغريمه .

واليمنيون المخضرمون يحفظون المثل اليمنى الدارج (اللهم احفظ الإمام يحيى إلى نصفه واحفظ الإمام الإدريسى إلى نصفه) أى يحفظ الأمام وغريمه حتى يستمر خلافهما بغير نهاية ، فلا ينضب المورد الذى يرتزق منه المقاتلون الوهميون .

كرهت أن يفعل بنا بعض رجال القبائل كما فعلوا بالإمام يحيى وغريمه ، فطلبت من القيادة المصرية أن تتوقف عن دفع أية مبالغ على هذا النحو الذى لن تكون له نهاية ، ويعطى للعالم الخارجى صورة مبالغا فيها لحجم المعارك الحربية الحقيقية على الساحة اليمنية .

أوضحت للقيادة خوفى من انتشار العدوى إلى المناطق ذات الولاء المطلق للجمهورية ، لأن المال الذى ذكره الله تعالى قبل البنين زينة للحياة الدنيا كفيل بإغراء الطامعين فيه ، والأولى من ذلك أن نوظف ما يتوافر من المال فى المشروعات العمرانية ، فقالوا أنهم سيعرضون الأمر على السلطات العليا فى القاهرة .

وتوقعا قبول هذا الاقتراح بحثت مع الدكتور محمد حسن حسنى رئيس بعثة الخبراء الزراعيين المصريين استغلال بعض هذه الأموال فى تشغيل المعدات الزراعية التى حصلنا عليها فى زراعة أراض حول صنعاء لانتاج الخضراوات المختلفة ، ودعوت رجال الأعمال اليمنيين للإسراع بالمشروعات العمرانية . (الأهرام ٢٠ ديسمبر ١٩٦٢) .

□ أسرار الاعتراف الأمريكى □

وعلى المسرح الدولى أبلغنى الوزير الأمريكى يوم ١٨ ديسمبر ١٩٦٢ بأن حكومته جاهزة لإعلان اعترافها بنظامنا الجمهورى ، وطلب منى تنفيذ إتفاقنا المسبق فأعلنت باسم اليمن بيانا فى مؤتمر صحفى عالمى[1] .. خلاصته أننا نستهدف

---

(١) نص البيان اليمنى (اعلنت الجمهورية العربية اليمنية منذ اليوم الأول للثورة عزمها على تركيز جهودها لرفع مستوى معيشة الشعب اليمنى والسعى إلى إقامة علاقات ودية مع جميع الدول . ثم إضطررنا خلال الاسابيع الماضية الى الدفاع عن أراضى جمهوريتنا أمام الغزو الخارجي ونشاط العناصر المرتبطة بالقوى الخارجية التى تمدها بالتأييد والدعم . وربما حجبت هذه الأحداث المؤسفة جوهر المبادىء والأهداف الاساسية لثورة الشعب اليمنى . لذلك نعلن مرة أخرى أن سياسة الجمهورية العربية اليمنية لاتزال عازمة على إحترام إلتزاماتها الدولية بما فى =

منذ قيام الثورة رفع مستوى معيشة الشعب اليمنى ، وإقامة علاقات ودية مع جميع الدول . كما أعلنت مصر تأييد البيان اليمنى وتعزيزه[1] ، ونشرت صحيفة الأهرام يوم ١٩ ديسمبر

= ذلك جميع المعاهدات التى إلتزمت بها الحكومات اليمنية السابقة وميثاق الامم المتحدة وميثاق جامعة الدول العربية . إننا نرغب فى العيش فى سلام مع جميع جيراننا الى المدى الذى يشاطروننا عنده هذه الرغبة ، ونطلب من جميع اليمنيين أن يحترموا القانون فى البلاد الذين يقيمون على أرضها وسوف نركز جهودنا فى أمورنا الداخلية لتحقيق المساواة بين جميع مواطنينا أمام القانون واستثمار موارد البلاد التى أهملت حتى الآن كى نرفع المستوى الاقتصادى والاجتماعى لجميع أبناء الشعب اليمنى . وأننا نأمل فى أنه بالعزيمة الصلبة ومؤازرة الدول الصديقة سوف نتقدم نحو هذه الاهداف المقدسة ترعانا عناية الله وتوفيقه) .

أذعت هذا البيان فى مؤتمر صحفى عالمى فى مكتبى برئاسة الجمهورية بحضور جميع ممثلى الدول العربية والاجنبية فى اليمن وكان يقف بجوارى المستر ستوكى القائم بالأعمال الامريكى ثم صرحت قائلا (أننى أجريت مفاوضات مع الحكومة الأمريكية استغرقت أكثر من شهرين وقد انتهت بنجاح تام وأننى انتظر إعتراف الولايات المتحدة الامريكية بحكومة الجمهورية العربية اليمنية خلال أربع وعشرين ساعة طبقا للاتفاق الذى تم بيننا ، وأننا سوف نبدأ صفحة جديدة من العلاقات مع الولايات المتحدة كى نتعاون على المستوى العالمى ورفاهية الجنس البشرى) (الأهرام ١٩ ديسمبر ١٩٦٢) .

(١) نص بيان الحكومة المصرية الذى أعلنه الدكتور عبد القادر حاتم وزير **الثقافة والإرشادة القومى حسب إتفاقى مع الرئيس عبد الناصر (تعلن الجمهورية العربية المتحدة تأييدها لكل ما جاء فى البيان الذى أصدرته الجمهورية العربية** اليمنية ، وأن الجمهورية العربية المتحدة لتشعر بالفخار إزاء كل ما قامت به تجاه ثورة اليمن منذ الساعات الأولى لإنطلاقها ، حينما قدمت لها على الفور التأييد المطلق تلبية لرغبة الشعب اليمنى الذى تعرض لتحديات شتى من البلاد المجاورة وتمشيا مع الاتفاقات القائمة بين البلدين ولقد استطاعت الجمهورية العربية اليمنية اليوم أن تثبت اقدامها فى حزم وأصبحت هى الحكومة الشرعية القائمة فى اليمن ، وأن الجمهورية العربية المتحدة إذ تبدى كراهيتها لإستمرار سفك الدماء تعبر فى الوقت نفسه عن إستعدادها لوقف الاشتباك المسلح من جانبها ، وأن تبدأ فى سحب قواتها الموجودة فى اليمن بالتدريج إذا انسحبت القوات السعودية والأردنية المشتركة =

١٩٦٢ نص البيانين اليمنى والمصرى ، فأعلنت أمريكا اعترافها فى نفس اليوم ، وسحبت اعترافها بممثل البدر المخلوع فى الأمم المتحدة[١] .

= من تأييد الملك المخلوع من مناطق الحدود ، وإذا ما توقفت المساعدات السعودية والأردنية والخارجية للملكين ، وحينما تطلب منها الجمهورية اليمنية العربية) (الأهرام ١٩ ديسمبر ١٩٦٢) .

(١) نص البيان الذى أعلنه المستر ستوكى القائم بالأعمال الامريكى فى مؤتمر صحفى عالمى ، حسب إتفاقنا المسبق ، فى مكتبى بالقصر الجمهورى يوم ١٩ ديسمبر ١٩٦٢ (نظرا إلى عدد من البيانات المتضاربة والمثيرة للحيرة التى ألقت الشك على ثبات الحكومة الجديدة فى اليمن ترحب حكومة الولايات المتحدة الامريكية بقيام الجمهورية العربية اليمنية بإعادة تأكيد نواياها نحو إحترام إالتزاماتها الدولية ورغبتها فى تحسين وإقامة علاقات صداقة مع جيرانها وعزمنها على التركيز على شئونها الداخلية للنهوض بمستوى معيشة الشعب اليمنى ، وقد سرت حكومة الولايات المتحدة الامريكية أيضا بالنداء الذى جاء فى صورة بيان من الجمهورية العربية اليمنية إلى اليمنيين المقيمين فى المناطق المتاخمة لليمن بأن يكونوا مواطنين يخضعون للقانون ، وأحيطت علما باحترام جميع المعاهدات التى أبرمتها الحكومات اليمنية السابقة ويشمل ذلك بدون شكل المعادة التى أبرمتها صنعاء مع الحكومة البريطانية عام ١٩٣٤ التى تنص على ضمانات متبادلة بضرورة عدم تدخل أى من الطرفين فى شئون الآخر عبر الحدود الدولية الحالية التى تفصل اليمن عن الاراضى الخاضعة للحماية البريطانية . كذلك ترحب حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بالبيان الذى أصدرته حكومة الجمهورية العربية المتحدة معلنة عزمنها على تنفذ فك إرتباط متبادل من النزاع اليمنى واستعجال مراحل سحب قواتها من اليمن عندما تنسحب القوات الخارجية التى تقوم بتأييد الملكين من خارج الحدود وعندما يكف التأييد الخارجى لليمنين الملكيين . وتعتقد حكومة الولايات المتحدة الامريكية أن هذه البيانات تمثل الركيزة الأساسية لإنهاء النزاع حول اليمن وتعبر عن الأمل فى أن جميع الأطراف المشتركة فيه سوف تتعاون من أجل ترك الشعب اليمنى يصوغ مستقبله . لذلك فإن حكومة الولايات المتحدة الامريكية قد قررت الإعتراف بحكومة الجمهورية العربية اليمنية والتقدم اليها بأصدق التمنيات بالنجاح والإزدهار Yemen the . Unknown War. Dana Adams Cchmidt (Landon 1968. Page 301)

بعد الاعتراف الأمريكى اجتمعت يوم ٢٠ ديسمبر ١٩٦٢ لجنة فحص أوراق الأعتماد فى الأمم المتحدة ووافقت (بالإجماع) على اعتماد وفد حكومة الثورة اليمنية ممثلا لجمهورية اليمن ، وأعلنت أستراليا ونيوزيلانده وكندا اعترافهم بنظامنا الجمهورى .

وعلى الجانب البريطانى حددت للوزير البريطانى موعدا لمقابلتى يوم ٢٦ ديسمبر ١٩٦٢ وهو اليوم الذى سيرتفع فيه علم الجمهورية اليمنية فوق مقر الأمم المتحدة وينزل علم النظام الإمامى ، ويقدم محسن العينى أوراق اعتماده كأول مندوب للجمهورية .

وقبل أن يخرج الوزير البريطانى من مكتبى أمسكت بتمثال الطائر الأبيض الذى أهداه لى الوفد البريطانى (الذى سبق أن استضفته لزيارة معظم مناطق اليمن) وقلت أن هذا التمثال الرمز يذكرنى بصداقة الشعب البريطانى ، وإن أخطر ما أخشاه أن تحطمه الحكومة البريطانية عمدا أو على سبيل الخطأ . واتفقنا على الإسراع بإعلان الاعتراف البريطانى وحق الجنوب المحتل فى تقرير مصيره .

□ نحن والحرب الباردة □

شرحت للسفير الروسى التركيب العضوى للشعب اليمنى الذى تسوده مخلفات ألف ومائة عام هى الساحة الحقيقية التى يقاتل عليها أعداء الجمهورية مما يجعلنا نستعجل

السلام ، وأشرت للسفير إلى مغزى زيارة جاكوب جافيتش عضو الكونجرس الإمريكى لإسرائيل يوم ٢٨ ديسمبر ١٩٦٢ حيث قال لرئيس الوزراء بن جوريون (إن أمريكا تضع فى حسابها استياء إسرائيل من اعتراف أمريكا بثورة اليمن التى تناصرها مصر) . وهذا ما يلزمنا بمضاعفة جهودنا للإبتعاد عن ساحة الحرب الباردة .

لكننا لم نستطع الابتعاد عنها حيث أذاع راديو لندن يوم أول يناير ١٩٦٣ (أن العمليات الحربية ضد ثورة اليمن تدار من نجران فى السعودية) . فأرسلنا طائرات الاستطلاع فلم نجد أية تجمعات للمتمردين ، لكن المشير عامر أرسل قاذفات قنابل ثقيلة (تبيلوف) من مطار غرب القاهرة فدكت منطقة نجران ، فأصدرت الخارجية الأمريكية بيانا يوم الخميس ٣ يناير ١٩٦٣ لتعلن (أنها تأسف لوقوع هذه الحوادث التى تهدد بتوسيع النزاع اليمنى) وكان من عناصر اتفاقنا على الاعتراف الأمريكى أن تتوقف المساعدات الخارجية للمتمردين ، وأن تعود القوات المصرية من اليمن وتترك لنا القوات المدرعة والطيران حتى نستكمل بناء الجيش اليمنى .

خشيت أن ينهار شهر العسل الأمريكى فأكدت لوزيرها المفوض أن الرئيس عبد الناصر حدد لذلك موعدا غايته آخر يناير ١٩٦٣ ولم أفش بذلك سرا ، فقد طلب منى السادات إخطار القيادات اليمنية حتى تبدأ فى الاعتماد على نفسها ، لأن السلال كان يعارض فى عودة القوات المصرية ، وكان الحل الوسط الذى اقترحته بحضور المشير عامر والسادات واللواء القاضى أن نكتفى بالقوات المدرعة المصرية والطيران المصرى

لحماية العاصمة صنعاء وميناء الحديدة وطريق الحديدة صنعاء وأن نعيد تكوين جيش المتطوعين .

اطمأن الوزير الأمريكى ، لكن رئيس المجلس التنفيذى المصرى على صبرى ، فى لقائه مع السفير الأمريكى بالقاهرة استخدم ألفاظ التحدى شديدة اللهجة أثناء تعليقه على بيان أصدرته الخارجية الأمريكية بأن (طائرات حربية للولايات المتحدة فى منطقة الشرق الأوسط تزور شبه الجزيرة العربية .. وأن طائرات من الجمهورية العربية المتحدة ألقت قنابلها وضربت بمدافعها الرشاشة واحة نجران) ثم قال البيان الأمريكى (إننا قلقون قلقا عميقا بسبب الحوادث الجارية فى شبه الجزيرة العربية) .

ولأننى كنت مقتنعا بأن عبد الناصر لا يقر تصريحات على صبرى أكدت ، مرة أخرى ، للوزير الأمريكى أن اليمن لا تزال تعمل بكل ثقلها من أجل السلام مع جيرانها وعدم التدخل فى شئونهم الداخلية واحترام إستقلالهم الوطنى ، وأضفت أننى عندما بلغنى أن أسرابا من المقاتلات من طراز F100 جاهزة للسفر عن طريق روما إلى المفرق فى الأردن ثم إلى الطائف فى السعودية تمنيت أن تواصل رحلتها إلى صنعاء ، ويا حبذا لو كان معها الملك حسين والأمير فيصل كى نعقد المؤتمر الذى سبق أن اقترحته أمريكا لإقرار السلام فى الجزيرة العربية ، وهو غاية ما نسعى إليه فى الجمهورية اليمنية . (الأهرام ٦ يناير ١٩٦٣) .

لذلك سافر حاكم عدن (فى نفس اليوم) إلى لندن ليبحث

الاعتراف بنظامنا الجمهورى ، بينما استدعى السلال الوزير الأمريكى (فى اليوم التالى) ٧ يناير ١٩٦٣ وهدده (فى غيبتى) بالزحف على السعودية والأردن ، بناء على نصيحة عزت سليمان تنفيذا لتعليمات على صبرى ليثبت جدية تهديداته المصرية ، بعد أن خشى الاتحاد السوفييتى من إنهاء القتال فى اليمن .

لم تأخذ أمريكا ولا بريطانيا تهديدات السلال على محمل الجد لاستحالة أن ينتحر عبد الناصر بمزاج السلال ، فزارنى الوزير البريطانى وأبلغنى بأنه (تلقى تأكيدات قاطعة من حكومته بأنها قررت الاعتراف بحكومة الثورة اليمنية وإن إعلان ذلك قد يستغرق وقتا لاستيفاء الاجراءات الشكلية لكنه لن يطول أكثر من عشرة أيام) . (الأهرام ٨ يناير ١٩٦٣) .

فأبلغت الوزير الأمريكى بحضور صحفيين أجانب أننا لن ندخر وسعا من أجل السلام وإقامة أوثق العلاقات مع المملكة العربية السعودية متوقعا من بريطانيا وبقية دول العالم الاعتراف بالنظام الجمهورى .. بعد أن شهد العالم سيطرتنا على جميع الأراضى اليمنية (الأهرام ١١ يناير ١٩٦٣) .

□ السلال يعلن الزحف على فلسطين !! □

ثارت مراكز القوى المصرية على تصريحاتى فى صنعاء التى نشرتها الأهرام فى القاهرة ، والتى تتفق مع سياسة عبد الناصر لإعادة قواته إلى مصر ، فحرضت السلال مرة أخرى فأعلن (من خلف ظهرى) يوم ١٢ يناير ١٩٦٣

(التعبئة العامة لخوض معركة فاصلة لتطهير الجزيرة العربية مع مصر فى طريق الزحف العربى المقدس لرفع راية العروبة عالية فى فلسطين) (الأهرام ١٣ يناير ١٩٦٣) . بينما كان جل مرادنا تطهير أراضينا من بقايا المتمردين .

تناقضت السياسة المصرية حيث ظهرت مراكز قوى ترفع راية عبد الناصر لكنها تتحدى سياسته ، وانتقل هذا التناقض إلى اليمن . فكانت القيادة المصرية تحرك القبائل بالمال بواسطة العميد عباس فهمى مدير شئون القبائل بعيدا عن السلال والبيضانى وضباط الثورة والسفارة المصرية .

وكان القائم بالأعمال المصرى يحرك السلال بعيدا عن البيضانى والقبائل وضباط الثورة والقيادة المصرية . بينما كانت عناصر من المخابرات المصرية فى اليمن تستدرج نشاط بعض ضباط الثورة وتبعدهم عن السلال والبيضانى والقبائل والقيادة المصرية والسفارة المصرية . وكان كل فريق يحاول الانفراد بالتأثير فى إدارة شئون الحكم فى اليمن . ولم أكن محلا لاستقطاب أحد حيث كنت على اتصال مباشر بعبد الناصر الذى كان يثق بى بالرغم من إصرارى على عدم تطبيق الاشتراكية المصرية فى اليمن ، ولعل عبد الناصر كان يريد أن تنتصر ثورة اليمن ولو بغير اشتراكية ، فلا تتكرر التجربة السورية .

قدم الينا الوزير البريطانى صورة الخطاب الذى سيلقيه عندما يقدم أوراق اعتماده ، وقدمت إليه صورة الخطاب الذى سيلقيه السلال ردا على خطابه . وكنا قد اتفقنا على صيغة

الخطاب البريطانى والرد اليمنى ، وما يتعلق بحق شعبنا فى الجنوب فى تقرير مصيره .

بعد المقابلة صرح الوزير البريطانى للصحفيين بأنه (أبلغنى أن حكومته ترغب فى إقامة علاقات ودية مع جمهورية اليمن ، وأننى أبلغته أن حكومة الثورة كانت تسعى إلى ذلك منذ قيامها ، لكن بريطانيا لم تفسح المجال لتنمية هذه العلاقات بتأخرها فى الاعتراف بالوضع الشرعى الذى تمثله حكومة الثورة) . (الأهرام ١٥ يناير ١٩٦٣) .

□ القائد المصرى يرحب بقوات عراقية!! □

دعانى السلال إلى بيته مدعيا انهيار عدة جبهات حول صنعاء ، فاتصلت بجميع قيادات المناطق فأكدت عدم صحة ذلك ، فاتصلت باللواء القاضى الذى أخبرنى أنه أرسل الى القاهرة يطلب مزيدا من القوات لمواجهة انهيار هذه الجبهات فرفض عبد الناصر طلبه . فذهبت إلى السلال ووجدت وزير العدل القاضى الأريانى وبعض الزملاء واللواء أنور القاضى ، فقال السلال إنه يرغب فى إرسال وفد إلى عبد الناصر برئاسة القاضى الاريانى ليطلب المزيد من القوات ، أو باذن لليمن بطلب قوات العراق التى وعد بها عبد الكريم قاسم القاضى الإريانى أثناء زيارته لبغداد ، وفوجئت بأن اللواء القاضى موافق على طلب القوات العراقية .

تبينت أن اللواء القاضى ضالع فى الاتفاق مع السلال والإريانى على إحراج عبد الناصر حتى لا تعود قواته من

اليمن ، ولكل منهم غايته ومراده ، فقررت أن أرأس الوفد كى أشرح هذا الكمين لعبد الناصر .

وصلنا إلى القاهرة وشرحنا الموقف للرئيس وأهمية عودة وحدات من القوات المصرية إلى مصر حتى تلتزم الولايات المتحدة بما تعهدت به . فقال الرئيس إنه تلقى من السلال برقية جعلته يضطر إلى إرسال المزيد من القوات المصرية . (الأهرام ١٩ يناير ١٩٦٣) . ولعله فعل ذلك أمام التلويح بالقوات العراقية .

فى طريقى إلى صنعاء ، فى اليوم التالى ، ذهبت مع السادات لزيارة عبد الناصر فوجدناه يلف رأسه بيديه ، وعلى مكتبه ورقة ، يلقى عليها بصره ، ويمعن فيها بصيرته ، لا يلتفت الينا ، ولعله لم يشعر بدخولنا .

نشر فى مجلة أكتوبر العدد ٨٣٨ فى ١٩٩٢/١/١٥

أمريكا تعلن فى السادسة مساء اليوم ـ بتوقيت القاهرة ـ اعترافها بحكومة الثورة فى اليمن

واشنطن تقوم بتبليغ صنعاء والقاهرة ظهر أمس ـ رسميا ـ بقرارها وبموعد تنفيذه
الدكتور البيضانى يذيع باسم حكومة اليمن بيانا عن سياستها والقاهرة تؤكد البيان اليمنى وتعززه
الجمهورية العربية المتحدة تسحب قواتها من اليمن بالتدريج عندما تتأكد من زوال كل خطر للعدوان الخارجى ضد اليمن

حدثت امس تطورات سياسية هامة ، فقد اتصلت حكومة امريكا ـ عن طريق ممثليها الدبلوماسيين ـ بكل من صنعاء والقاهرة ، وابلغتهما انها ستعلن الاعتراف بحكومة الثورة فى اليمن فى خلال ٢٤ ساعة .

وفى صنعاء طلب مستر روبرت ستوكى ممثل امريكا فى اليمن الاجتماع بالدكتور عبد الرحمن البيضانى نائب رئيس اليمن ووزير الخارجية ، حيث ابلغه القرار فى الاجتماع الذى تم بينهما أمس .

وفى القاهرة استقبل امس السيد على صبرى رئيس المجلس التنفيذى مستر وليم بوزويل القائم باعمال سفارة امريكا فى القاهرة ، بناء على طلب ممثل امريكا الذى ابلغه بأن اعتراف حكومته بثورة اليمن سيتم فى خلال ٢٤ ساعة .

وعلم مندوب « الأهرام » ان حكومة امريكا ستذيع بيان اعترافها بحكومة الثورة فى اليمن فى الساعة الثانية عشرة ظهر اليوم « بتوقيت واشنطون » ، اى فى الساعة السادسة مساء « بتوقيت القاهرة » .

بيان لصنعاء يعززه بيان القاهرة

وفى صنعاء اصدرت حكومة اليمن بيانا عن سياستها العامة ، وفى القاهرة صدر بيان يؤكد البيان اليمنى ويعززه . وقال بيان القاهرة ان الجمهورية العربية المتحدة لتشعر بالفخار ازاء ما قامت به تجاه ثورة اليمن ، وقال ايضا ان جمهورية اليمن تثبت اقدامها واصبحت الحكومة الشرعية القائمة فى اليمن.

وقد اذاع الدكتور البيضانى بيان حكومة اليمن فى مؤتمر صحفى حضره ممثل امريكا . وقال البيان الذى صدر ظهر أمس:

« ان الاحداث المؤسفة التى نتجت عن العدوان الاجنبى على اليمن كانت سببا فى عدم ادراك بعض الجهات لحقيقة المبادىء الاساسية لثورة الشعب اليمنى واهدافه .. لذلك اجرينا مفاوضات مع ممثل الولايات المتحدة استغرقت اكثر من شهر ، ثم انتهت هذه المفاوضات بنجاح تام. واننا ننتظر اعتراف الولايات المتحدة بحكومة الجمهورية العربية اليمنية خلال الاربع والعشرين ساعة القادمة طبقا للاتفاق الذى تم بيننا »

واضاف البيان « وبذلك نبدأ صفحة جديدة من علاقتنا مع الولايات المتحدة لنتعاون على المستوى العالمى تعاونا تاما من اجل رفع مستوى شعب الجمهورية العربية اليمنية ، ولنشارك بدور فعال فى خدمة السلام العالمى ورفاهية الجنس البشرى ».

ثم قال البيان « منذ اليوم الاول لثورة اليمن اعلنت حكومة الجمهورية العربية اليمنية عزمها الاكيد على تركيز جهودها فى رفع مستوى معيشة الشعب اليمنى وتنمية علاقات الصداقة مع جميع الدول . غير اننا فى الاسابيع الماضية وجدنا انفسنا مضطرين الى الدفاع عن جمهوريتنا ضد الغزو الاجنبى وضد العناصر التى بقيت متصلة به تتلقى منه العون والتشجيع.

وربما كانت هذه الاحداث المؤسفة سببا فى عدم ادراك بعض الجهات لحقيقة المبادىء الاساسية لثورة الشعب اليمنى واهدافه ، وكذلك فاننا نعلن مرة اخرى ان الجمهورية العربية اليمنية ما زالت ثابتة على سياستها فى احترام التزاماتها الدولية بما فى ذلك جميع المعاهدات التى وقعتها الحكومة السابقة ، كما نعلن تمسكها بميثاق الامم المتحدة وميثاق جامعة الدول العربية ».

وقال بيان جمهورية اليمن فى الختام « واننا نأمل ان نعيش فى سلام وانسجام مع جيراننا الى المدى الذى يشاركوننا فيه هذا الأمل كما نناشد اخواننا اليمنيين المقيمين فى المناطق المجاورة ان يحافظوا على القانون والنظام . وسوف نكرس جهودنا فى شئوننا الداخلية من اجل تحقيق المساواة بين المواطنين ليكونوا جميعا سواء امام القانون ، كما سنجند انفسنا من اجل رفع المستوى الاجتماعى والاقتصادى للشعب اليمنى واستثمار موارد الدولة التى اهملت فى الماضى كى ينتفع منها جميع ابناء الشعب . وسوف نخطو قدما نحو تحقيق هذه الاهداف المقدسة بعزيمتنا الصادقة وبمساعدة الدول الصديقة معتمدين على الله الذى سيتوج جهدنا بالنصر والنجاح ».

شروط الجمهورية العربية لسحب قواتها

واذاع بيان القاهرة ، الدكتور عبدالقادر حاتم وزير الثقافة والارشاد القومى . وقال البيان:

« تعلن الجمهورية العربية المتحدة تأييدها لكل ما جاء فى البيان الذى اصدرته الجمهورية العربية اليمنية . وان الجمهورية العربية المتحده لتشعر بالفخار ازاء ما قامت به تجاه ثورة اليمن منذ الساعات الاولى لانطلاقها ، حينما قدمت لها على الفور التأييد المطلق تلبية لرغبات

الأهرام ١٩ ديسمبر ١٩٦٢



موسكو تؤجل عودة القوات المصرية من اليمن

ذهبت مع السادات مساء يوم ٢٠ يناير ١٩٦٣ لزيارة عبد الناصر فى طريقى إلى صنعاء ، فوجدناه يلف رأسه بيديه ، وعلى مكتبة ورقة ، يلقى عليها بصره ، ويمعن فيها بصيرته ، لايلتفت الينا ، ولعله لم يشعر بدخولنا .

وكنت فى الصباح قد استقبلت السفير السوفييتى بالقاهرة الذى سألنى كيف أفسر تصميم عبد الناصر على إعادة قواته من اليمن بينما أرسل المزيد منها قبل لقائى به ؟ ثم سألنى عن علاقتنا مع الولايات المتحدة وبريطانيا رغم استمرار حوادث التخريب ، فأجبت بأنها لم تعد تقلقنا ، وأننا سوف نتجه إلى التنمية الاقتصادية ، وأن الرئيس قرر عودة قواته بعد أن نجحت فى تثبيت الجمهورية ، وأنه أرسل مزيدا منها (بصفة مؤقتة) لتهدئة السلال الذى أفزعته تقارير مختلقة .

تناقض الموقف اليمنى

أشار السفير إلى تناقض الموقف اليمنى عندما كنت مع السلال فى أحد المواقع العسكرية ، قبل يومين من وصولى إلى القاهرة ، وألقيت كلمة أعلنت فيها استقرار الجمهورية والبدء فى عودة القوات المصرية ، وفوجئت بالسلال الذى كنت أقف بجواره يلتقط الميكروفون ويعلن أنها لن تترك اليمن أبدا .

استغرق حديثى مع السفير عشر دقائق ثم هرول

بالانصراف ، وهو الذى ألح على طلب المقابلة العاجلة ، ولعله كان على موعد لإرسال نتيجتها إلى موسكو على أثر مقابلتى للرئيس وقبل عودتى إلى اليمن (الأهرام ٢٠ يناير ١٩٦٣) .

□ ثناء أو رثاء ؟ ! □

فى مكتب الرئيس ، وبعد صمته الطويل ، قال : ياأخ عبد الرحمن لقد قمت بدور لاينساه لك تاريخ اليمن ومسيرة الأمة العربية ، ورجال التاريخ قد يصنعونه فى يوم ، أو فى سنة . أو عشرات السنين ، لاتهم المدة وإنما يبقى الأثر . وأنت قمت بدورك فى الثورة اليمنية وحققت ماكنت تنادى به . ثم سكت الرئيس وعاد إلى صمته . فسألته : هل أعتبر ذلك ثناء أو رثاء ؟ .

قال إنه بعد لقائنا بالأمس تلقى فى الصباح رسالة من السلال يطلب بقائى فى مصر لأننى أسأت إلى الزيود عندما دافعت عن حق الشوافع فى المساواة . فأبديت أسفى لوقوع السلال فى أيد لا تبالى باستقرار الجمهورية فاختلق هذه المبررات الطائفية ، وهو يعلم أننى بحكم منصبى ملزم بتحقيق المساواة بين جميع اليمنيين ، تنفيذا لأهداف الثورة ودستور الجمهورية . ولو كنت متعصبا للشوافع لوافقت السلال عندما أراد نقل العاصمة إلى تعز عاصمة الشوافع ، وتعيين حاكم عسكرى لصنعاء الزيدية حين كانت محاصرة ومهددة بالسقوط ، فطلبت زوجتى وأطفالى من مصر حتى أدخل السكينة إلى قلبه ، وأطمئن أهل صنعاء الذين بدأوا الفرار

منها ، تفاديا لتكرار مافعلته بهم القبائل الزيدية عندما اقتحمت بيوتهم ونهبتهم على أثر فشل انقلاب ١٩٤٨ .

□ غامرت بحياة زوجتى وأطفالى □

قلت للرئيس إنه هو نفسه عاتبنى على ذلك ببرقية ساخنة وطلب إعادة زوجتى وأطفالى إلى القاهرة حتى تسهل حركتى فى صنعاء ، فاعتذرت له ، وواصلت المغامرة بحياتهم فأبدى عبد الناصر استياءه من السلال وقرر أن يطلب منه سحب رسالته ، ونصحنى بإهمالها وممارسة مهام منصبى وقبول دعوة عبد العزيز الشوربجى نقيب المحامين لحفلة تكريم أقامها على شرفى فى النقابة يوم ٢٤ يناير ١٩٦٣ ، كما استقبلت بصفتى الرسمية صحفيين فى السفارة اليمنية وشرحت موقف الحكومة اليمنية من مقترحات الأمم المتحدة (الأهرام ٢٢ يناير ١٩٦٣) . وكأن رسالة السلال لم تكن .

وكنت قد سمعت قبل مغادرتى مكتب الرئيس أن السلال استقبل فى صنعاء قاذفات قنابل روسية ثقيلة بعيدة المدى ، وتصريحا لخروشوف (إن الأمريكيين وإن كانوا كشروا عن أنيابهم كالذئاب أثناء الأزمة الكوبية فإنهم لم يعضوا مطلقا) وأنه بعث رسالة الى السلال تؤكد (أن قيام ثورة اليمن قد هيأت الظروف المناسبة كى تزداد الصداقة السوفييتية اليمنية توافقا وتطورا) . (الأهرام ٢١ يناير ١٩٦٣) .

تنفيذا لتعليمات الرئيس أعطى السادات زميلى عضو الوفد النقيب حمود بيدر (عضو مجلس النواب حاليا) رسالة عتاب

الرئيس كى يسلمها الى السلال ، لكن حمود بيدر عندما عاد إلى مصر كان حزينا وهو يخبرنى بحضور السادات أنه قبل أن يسلم رسالة عبد الناصر أبلغ السلال استياء الرئيس والسادات ، فرد السلال بأنه هو الآخر مستاء من الذين حرضوه على توقيع رسالته ، لكنه عندما فتح رسالة الرئيس وجدها تؤيده ، فاتهم حمود بيدر بالخداع والكذب ، وهو المجاهد الوطنى الصادق الأمين .

□ عبد الناصر يسحب توقيعه □

علق السادات بأن عبد الناصر وقّع بحضوره رسالة العتاب ، وعندما وصلت إليه سلمها مغلقة لحمود بيدر ، وبعد يومين أبلغه الرئيس أنه اضطر إلى تغييرها تحت إلحاح المشير عامر الذى أطلعه على برقية من اللواء القاضى قائد القوات المصرية تطالب بحجزى فى مصر ، كما أخبره بأن الاتحاد السوفييتى يعتبر سياسة البيضانى الدولية نصرا للولايات المتحدة ، بينما لايتحمل أمامها هزيمتين فى سنة واحدة ، مرة فى كوبا وأخرى فى اليمن ، وأضاف المشير أنه قبل حسم الصراع فى الجزيرة العربية لا يوافق على عودة القوات المصرية التى لا تستطيع أن تعمل بحرية مع وجود البيضانى .

(أقر اللواء القاضى بإرساله هذه البرقية فى حديثة المنشور فى صحيفة ٢٦ سبتمبر اليمنية يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٩٢ بمناسبة العيد الثلاثين للثورة) .

شرح السادات للرئيس خطورة هذا المنطق ، فعلق الرئيس

بأنه كان بين أمرين ، أحلاهما أشد مرارة من الآخر ، فإما أن يعود البيضانى إلى اليمن فيتوقف الاتحاد السوفييتى عن مساعدة الثورة فيتحملها الاقتصاد المصرى ، وإما أن يؤيد المشير والسلال والاتحاد السوفييتى فيحافظ على المساعدات السوفييتيه .

وأضاف أن برقية اللواء القاضى لم تكن ذات أثر فى اختياره لأنه كان يؤيدنى فى ترشيد الأداء المصرى وعدم تمكين ضباطه من تكرار ماحدث فى سوريا ، كما كان يبارك سياستى الخارجية التى جعلته يقرر استعادة قواته ، فاختار (بمرارة) بقائى فى مصر وهو ينوى عودة القوات من اليمن .

هالنى أن يعرف الرئيس ذلك عن معاونيه ، ويسلمهم شراع السفينه ، ثم يكتفى منهم بمركز القائد بغير دفة ، والربان بغير شراع ، بين أعاصير معارك دولية لا ناقة فيها لمصر ولا جمل فيها لليمن .

□ سلبية الشوافع وتمرد الزيود □

أعلنت استقالتى لأسباب مرضية بنـاء على طلب عبد الناصر ، فكانت مفاجأة للمناطق الشافعية التى تسربت إليها رسالة السلال التى اتهمتنى بإثارة الزيود حين حرصت على تحقيق المساواة بين جميع أبناء اليمن لبناء الوحدة الوطنية أمل المناطق الشافعية ، فلاذت إلى السلبية بعد أن تأكدت أن القيادة المصرية قد سحرتها خديعة الزيود (جمهوريين ومتمردين) فانصرفت عن الشوافع المؤيدين ، أغلبية شعب

اليمن . وهكذا اختارت القيادة المصرية موقعها بين تمرد الزيود وسلبية الشوافع ، مما اضطر المشير والسادات (٣١ يناير ١٩٦٣) إلى السفر إلى اليمن لمواجهة المضاعفات التى طرأت ، وتوجيه الهجوم الكبير الذى لم يحقق أهدافه .

استثمر المتمردون الدرس المستفاد من معركة رأس الوتدة ، فانتشروا فى الشمال الزيدى يستدرجون المصريين إلى صخور المتمردين ، كما انقلب الموقف الدولى حين ظهر السلال فى قبضة اللواء القاضى فامتنعت بريطانيا عن الاعتراف بنظامنا الجمهورى رغم اتفاقها معنا على اعترافها بجمهوريتنا وعلى حق شعبنا فى الجنوب فى تقرير مصيره ، وذهب وزيرها المفوض إلى لندن لاستلام أوراق اعتماده لدينا قبل يوم واحد من حجزى فى مصر الذى أقنعها بأن الصف الجمهورى قد تمزق . ثم ازدادت اقتناعا بعدم يمنية القرار اليمنى حين طرد السلال البعثة البريطانية الدبلوماسية وأعلن تطهير الجزيرة العربية على أثر استقباله للسفير السوفييتى الذى صرح بأن (الاتحاد السوفييتى لن يقف عند حد فى مساعداته التى يقدمها لليمن) (الأهرام ٢١ فبراير ١٩٦٣) .

سجل المؤرخ دانا أدمز شميدت فى كتابه (اليمن .. الحرب المجهولة – صفحة ٢٠٦ لندن ١٩٦٨) . (إن رغبة عبد الناصر فى الخروج من اليمن ترجع إلى زمن بعيد عندما لم يكتمل نجاح قواته فى هجومها الكبير الأول فى فبراير ومارس ١٩٦٣ ، وكان إبعاد عبد الرحمن البيضانى قمة هذا الاحباط .. لكن المصريين كانوا قد حوصروا فى المصيدة

(Nasser's desire to get out of Yemen dated all way back to the incomplete success of his armies first major offensive in February and March 1963.A sepuel to this frustration was the removal of Abdelrahman Albaydany. But the Egyptians were trapped.)

وفى صفحة ١٨٨ انتقد تسرع الولايات المتحدة بالاعتراف بحكومة الثورة اليمنية فقال (إن الاعتراف الأمريكى ساعد عبد الناصر وحملته العسكرية فى اليمن على تحقيق أغراضه خارج حدودها) .

□ عودة القوات المصرية إلى مصر □

بعد أربعين يوما قضاها المشير والسادات فى اليمن طرح السادات حقيقة الموقف على الرئيس ، فقرر الإسراع بعودة القوات المصرية مع ترك المدرعات والطيران كما سبق أن اتفقنا قبل إخراجى من الحكم ، فعاد المشير والسادات إلى صنعاء يوم ٢٤ أبريل ١٩٦٢ لترتيب عودتها . وكان عبد الناصر على رأس الاحتفال بالقوات الباسلة العائدة إلى مصر فخورا بنجاحها ، فأعلن (أنها أسهمت فى تثبيت أقدام الثورة حتى أصبحت قادرة على الدفاع عن نفسها) .

غير أن اللواء القاضى الذى وصل مع القوات العائدة ناقض الرئيس وقال ان الثورة اليمنية (تستطيع فقط الاعتماد على نفسها بعد خمس سنوات .. وأن الرجعية تعلم علم اليقين أننا قادرون على إرغامها بإجراء أكثر حزما .. إجراء يستهدف الأصل والمنبع) (الأهرام ٢٥ مايو ١٩٦٣) . فتناقض

الموقف المصرى فى القاهرة كما تناقض الموقف اليمنى فى صنعاء .

ومع عودة القوات المصرية لحق بها السلال الى مصر ، فاعتذرت عن عدم استقباله فى المطار لأنه سبق أن أرسل برقية إلى الرئيس يبلغه أنه تلقى معلومات من المخابرات المصرية فى صنعاء (يقصد اللواء عزت سليمان) تزعم اننى اتصلت بأمير البيضاء وبعض الوزراء لإثارة (نعرة انفصالية) . ولأن الرئيس لم يصدق ذلك الافتراء اقترح أن يرتب لنا لقاء فى قطار الرئاسة عند سفره إلى الاسكندرية ، فوافقت إرضاء للرئيس .

عندما وصلت إلى القطار وجدت السادات قد أعد لى مقعدا بجوار السلال ، وجلس السادات أمامنا وكنا نحن الثلاثة فى مقصورة وحدنا ، فأثار عناقنا الحار دهشة المشاهدين ، لأن هذا اللقاء كان بترتيب من الرئاسة المصرية ، الأمر الذى أثبت اختلاق ما كتبه السلال عنى ، كما أثبت رغبة عبد الناصر فى عودتى إلى اليمن ، لاسيما بعد أن أضرب السلال عن العودة إليها الا إذا عادت قبله القوات المصرية ، وكان فى استقبالنا فى محطة سيدى جابر محافظ الاسكندرية حمدى عاشور (١٨ يونية ١٩٦٣) .

□ إعادة القوات المصرية إلى اليمن □

فى اليوم التالى (١٩ يونيه ١٩٦٣) عاد المشير عامر من موسكو وبيده اتفاقية عسكرية وقعها المارشال مالينوفسكى وزير الدفاع بحضور خروشوف . وشرح للرئيس محادثاته مع

خروشوف والمساعدات السوفييتية العسكرية الجديدة لمصر وقرض العشرين مليون جنيه ورغبة السوفييت فى إعادة القوات المصرية إلى اليمن ، فوافق الرئيس على إعادتها .

بعدئذ رضى السلال بالعودة مع المشير وقواته (٢٥ يونية ١٩٦٣) ولذلك لم تصبح عودتى مع السلال ذات منفعة مادامت قد استقرت النوايا على استئناف الحرب وتوسيع ساحاتها .

وعندما وصل المشير والسلال إلى صنعاء أعلنا تشكيل قيادة مشتركة (لاستئناف تطهير الجزيرة العربية) ورقى اللواء أنور القاضى إلى رتبة فريق . فأذاع راديو لندن تصريحا للأمير فيصل (إن الحكومة السعودية أجرت مباحثات مع أمريكا بشأن توفير الحماية الأمريكية للجزء الجنوبى من السعودية) . ومعنى ذلك أنه بينما كان المشير عامر يستجيب لطلب خروشوف إعادة القوات المصرية إلى اليمن (لتطهير الجزيرة العربية) كانت الحكومة السعودية تبحث مع الحكومة الأمريكية وسائل الرد على الاستراتيجية السوفييتية .

وأخذت ساحات المعارك تتسع ، فظهرت معارضة جمهورية للسلال تتهمه (بالذيلية) للقيادة المصرية وعدم الاكتراث بالدماء اليمنية ، وعقدت هذه المعارضة مؤتمرا شعبيا فى مدينة خمر (شمال صنعاء) (٢ مايو ١٩٦٥) وأعلنت (العمل بمختلف السبل والوسائل لإنهاء الحرب وإقرار السلام) .

□ هيكل وشهادة الوثائق □

وبينما كان عبد الناصر يتلمس المخرج السياسى . كانت القيادة المصرية تلح على توسيع العمل العسكرى ، فكتب الأستاذ هيكل فى (شهادة الوثائق من التاريخ القريب والحى) (إن القيادة العسكرية قد حددت يوم ٧ سبتمبر ١٩٦٥ للعمل داخل الأراضى السعودية ، وأن عبد الناصر قد وافقها على ذلك مع احتفاظه لنفسه بالحق فى إيقاف هذه العملية قبل موعد تنفيذها بثمان وأربعين ساعة) . وأغلب ظنى أن عبد الناصر لم يكن موافقا على ذلك لكنه تحاشى الاصطدام مع القيادة المصرية .. الى أن يجد منها مخرجا .

دليلى على ذلك أن عبد الناصر كان يدرك أن دول حلف الأطلنطى ترحب باستنزاف القوات المصرية فى اليمن ، فذهب إلى جدة (٢٢ أغسطس ١٩٦٥) للاتفاق مع الملك فيصل على مخرج مشرف من اليمن ، ووقعا اتفاقية جدة التى تضمنت الاستفتاء على نوع الحكم فى اليمن فى موعد أقصاه ٢٣ نوفمبر ١٩٦٦ بعد مؤتمر تحت إشراف مصرى سعودى بين الجمهوريين والإماميين فى مدينة (حرض) اليمنية يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٦٥ على أن تتوقف المساعدات العسكرية عن الإماميين ، وتنسحب جميع القوات المصرية من اليمن خلال عشرة أشهر تبدأ من ٢٣ نوفمبر ١٩٦٥ .

□ إقصاء السلال بالإسكندرية □

مع تزايد المعارضة الجمهورية للسلال قررت مصر إقصاءه إلى الإسكندرية (أكتوبر ١٩٦٥) ثم لبى عبد الناصر دعوة لزيارة موسكو اثناء انعقاد مؤتمر (حرض) وبعدئذ أعلن فى مجلس الأمة (٢٥ نوفمبر ١٩٦٥) (أن زيارته لموسكو أسفرت عن تفاهم يوفر على الشعب المصرى مالا يقل عن مائتى مليون جنيه) . ففشل مؤتمر (حرض) .

ومما يلفت النظر أنه كلما عزم الرئيس على سحب قواته من اليمن (يتصادف ..!!) أن تدعوه موسكو ، أو تدعو المشير عامر إلى زيارتها ، وبعدئذ يتغير قرار عودة القوات من اليمن !!

لكن القيادات الجمهورية التى تولت الحكم لم تخضع لبلاط المشير كما فعل السلال قبل إقصائه إلى الإسكندرية ، وصعدت صراعها مع القيادة المصرية . فخشى زعماء المناطق الشافعية من سقوط الجمهورية نتيجة هذا الصراع فأرسلوا عن طريق السفارة المصرية وثائق الى عبد الناصر وقع عليها الألوف من رجال اليمن يطالبونه بإعادة البيضانى (هذه الوثائق منشورة من الوثيقة ٣٦ وما تلاها فى كتاب أزمة الأمة العربية وثورة اليمن للبيضانى) .

رحب عبد الناصر بعودتى وقرر إعادة السلال لمواجهة القيادات الجمهورية الحاكمة ، ثم بلغه أن المجموعة الحاكمة فى صنعاء اعتزمت المطالبة العلنية والرسمية بانسحاب القوات

المصرية (نتيجة لذات الأسباب التى نصحت اللواء القاضى بأن يتجنبها فثارت حفيظته ضدى) وأن هذه المجموعة تنذر بإسقاط طائرة السلال فوق صنعاء . وكان على رأس المجموعة الحاكمة الفريق حسن العمرى رئيس الوزراء والقائد العام . وعبد الرحمن الأريانى عضو مجلس الرئاسة ، وأحمد نعمان العضو الثالث فى المجلس ومعهم معظم الوزراء ونحو خمسين من قادة الجيش اليمنى . وكنت أتمنى ونحن نبنى مجد الأمة العربية أن يعالج اليمنيون خلافهم مع القيادة المصرية بما يصون كرامة العلاقات اليمنية المصرية مهما ضاق صدرهم ببعض هذه القيادات .

□ الحكومة اليمنية فى السجون المصرية □

استحسن عبد الناصر أن أتأخر حتى يتحمل السلال مواجهة من يرفضونه فسافر إلى صنعاء (٢ أغسطس ١٩٦٦) وتحركت مدرعات الفريق العمرى إلى المطار لإسقاط طائرته ، فحاصرتها القوات المصرية وأنذرت العمرى بسحب مدرعاته فاضطر إلى الاستجابة لطلبات اللواء طلعت حسن القائد الجديد للقوات المصرية ، الذى كان صادقا فى معالجة الرواسب التى خلفها اللواء القاضى .

اتجهت الحكومة اليمنية إلى تعز واقترح بعضهم السفر إلى الأمم المتحدة (لتقديم شكوى ضد الوجود العسكرى المصرى لأنه أصبح يدير الشئون الداخلية اليمنية) بينما رأى أحدهم السفر إلى بيروت لعقد مؤتمر صحفى لشرح شكواهم . واقترح

آخرون أن يأتوا الى عبد الناصر لعلمهم أن الرئيس وهو يدعو إلى الوحدة العربية لا يوافق على إهدار الشخصية الوطنية .

وصلوا إلى القاهرة يوم ٩ سبتمبر ١٩٦٦ فجاءهم رسول يدعوهم إلى مقابلة المشير ، وعندما ذهبوا إليه وجدوا شمس بدران يحمل صحيفة لبنانية نشرت مقالا يعلن (قرب قيام انفصال يمنى ضد الوجود المصرى على غرار الانفصال السورى ، ولنفس أسبابه ، وهى قيام القيادة المصرية بتجريد اليمن من شخصيتها الوطنية) .

أهان شمس بدران قادة اليمن فانصرفوا من مكتبه ، ثم صحبهم رسول آخر إلى مقابلة المشير حيث وجدوا أنفسهم داخل زنزانات فى السجن الحربى وتفرق الخمسون الآخرون على بقية السجون .

كان شمس بدران قد سيطر على السلطة باسم المشير ، ثم استولى على المشير باسم المشير ، وأصبح صاحب القرار الأخير .

فكانت الكارثة .

نشر فى مجلة أكتوبر العدد ٨٤٢ فى ١٩٩٢/١٢/١٣

السلال والبيضانى ونتاقض فى الموقف اليمنى

بسم الله الرحمن الرحيم

على ما نقول وكيل .

صفحة من عشرات الوثائق التى وقع عليها عشرات الألوف من رجال اليمن من مختلف المناطق وقدموها الى الرئيس عبدالناصر بواسطة السفارة المصرية فى صنعاء (يونيه ويوليه ١٩٦٦) ونص مقدمتها (خطاب مفتوح الى سيادة رائد القومية العربية الرئيس جمال عبدالناصر حرسكم البارى أمين . نعم ياصاحب السعادة أنت تفهم تدهور الموقف فى اليمن وأنت المخاطب الأول والأخير ونحن الموقعين أسمائنا من الحجرية نطالب بإعادة الدكتور عبدالرحمن البيضانى باسم الملايين من الشعب . نطالب بعودة عبدالرحمن البيضانى . إن الكبير والصغير والذكر والأنثى يريدون الدكتور البيضانى والله على ما نقول وكيل) .

٨

السلال رفض عودة القوات المصرية وقتل منها ١٠٠ شهيد دبرت انقلابا ضده قاده القاضى الاريانى !

كان شمس بدران قد سيطر على السلطة باسم المشير ، ثم استولى على المشير باسم المشير ، وأصبح صاحب القرار الأخير .. فكانت الكارثة .. وبينما كانت الحكومة اليمنية فى السجون المصرية أصدر السلال قرارا بإقالتها والغاء مجلس الرئاسة . وفى حماية القيادة المصرية ملأ السلال المعتقلات بالضباط وزعماء القبائل ، ثم أعاد التهديد بتطهير الجزيرة العربية ، تجاوبا مع ما أعلنه الرئيس عبد الناصر أن الوجود المصرى فى اليمن لم يعد يرتبط بتثبيت الجمهورية ، وإنما يستهدف مستقبل الجزيرة العربية ، وذلك عندما أعلنت بريطانيا فى ٢٢ فبراير ١٩٦٦ أنها لا تنوى البقاء فى الجنوب اليمنى فى موعد أقصاه عام ١٩٦٨ فأعلن (أن القوات المصرية ستبقى فى اليمن إلى ما بعد عام ١٩٦٨) وفى مؤتمر صحفى بالاسكندرية بحضور الرئيس اليوغسلافى تيتو يوم ٧ مايو ١٩٦٦ أكد عبد الناصر أن (السؤال الآن ليس هو اليمن وإنما مستقبل الجزيرة العربية كلها) (الأهرام ٨ مايو ١٩٦٦) .

نجح عبد الناصر فى غرس الانطباع لدى حلف الاطلنطى بأن الوجود العسكرى المصرى فى اليمن يعتبر موقعا سوفييتيا فى الجزيرة العربية . ولما أدرك خطورة ذلك حاول نفيه فى حديثه اللاحق مع مندوب صحيفة الجارديان حين نفى أن (القوات المصرية سوف تتزل إلى عدن والجنوب اليمنى ثم تتجه يسارا

إلى الخليج وتستولى على البترول وتضعه تحت النفوذ الروسى) (الأهرام ٢٠ يولية ١٩٦٦) .

لم أستطع تفسير بواعث هذا التناقض الاستراتيجى فى حديثى مع الرئيس الجزائرى هوارى بومدين اثناء زيارتى على رأس وفد يمنى فى مهمة رسمية (أكتوبر ١٩٦٦) حيث أبدى انزعاجه من تصعيد عبد الناصر العسكرى فى اليمن فوق الرمال الدولية المتحركة فى الجزيرة العربية .

ثم عدل عبد الناصر عن نفيه السابق وعاد إلى تهديد حلف الاطلنطى عندما اجتمع مع جروميكو يوم ٢٩ مارس ١٩٦٧ وأعلن (أن المعركة فى الجنوب اليمنى جزء من حرب شاملة) .

◻ الوريث الشرعى للاستعمار ◻

كان الاتحاد السوفييتى يرى أنه الوريث الشرعى للاستعمار البريطانى بعد رحيل بريطانيا عن الجنوب اليمنى ، فهو مورد السلاح للعرب فى معارك التحرير ، وصاحب انذار بولجانين فى العدوان الثلاثى على مصر بعد أن تآمرت بريطانيا وفرنسا مع اسرائيل ، والذى بنى السد العالى بعد أن تخلت عنه أمريكا ، والذى انتزع من المصريين عملية صلاح الدين فى عدن ، وصاحب الكلمة النافذة فى صنعاء .. القاطعة فى القاهرة .

اعتبر السوفييت أن عبد الناصر قد أتم دوره بعد أن فتح لهم الابواب العربية الاستراتيجية المغلقة ، ثم أصبح عبئا

عليهم وهو يغلق دونهم النوافذ العربية الشيوعية المفتوحة . وكان عبد الناصر يدرك هذا التناقض فى علاقاته السوفييتية ، لأنه كان تناقضا مذاعا فى موسكو ، مسموعا فى القاهرة ، محسوبا فى واشنطون ، معروفا فى اسرائيل ، معروضا فى اسواق السياسة العربية والدولية .

ولعله كان مقتنعا بأنه ، فى ظل النظام العالمى (ثنائى القطبية) يستطيع القفز فوق هذا التناقض فيحقق السيطرة (المستحيلة) على سلبياته ، فاقتحم الخطوط الحمراء فى علاقته الامريكية (مستندا) على تناقض علاقاته السوفييتية ، متصورا إمكانية ترجيح كفته فى موسكو بفضل زعامته العربية واختياراته السياسية والاشتراكية التى عمقت الخلل فى التوازن الدولى على الساحة العربية لصالح السوفييت .

□ حرب هجومية على السعودية □

ثم تزايد هذا الخلل فى التوازن الدولى حين سمح الرئيس لضيفه الملك السابق سعود فأعلن من إذاعة صوت العرب يوم ٢٠ مارس ١٩٦٧ أنه (لا يستطيع أن يلتزم الصمت إزاء وجود قوات اجنبية فى السعودية ، وأن واجبه الوطنى يحتم عليه العمل على علاج الاوضاع السعودية وإعادة البلاد للركب العربى الصحيح) (الاهرام ٢١ مارس ١٩٦٧) . فتناقض هذا التصعيد السياسى فى مصر مع التدهور العسكرى فى اليمن .

ونتيجة لهذا التدهور أرسل القائد الجديد للقوات المصرية فى اليمن تقريرا إلى عبد الناصر يوم ٢٠ أبريل ١٩٦٧ يشرح الموقف العسكرى ، ويقترح عودة البيضانى لمعالجة العلاقات اليمنية الدولية سعيا الى تهدئة الموقف العسكرى المتدهور . وعلى مائدة المشير عامر يوم ٢٢ ابريل ١٩٦٧ أطلعنى على خلاصة هذا التقرير ، وطلب أن استعد للسفر الى اليمن ومعنا الملك السابق سعود ، فاعتذرت لانعدام الهدف من عودتى معهما ، لأن سفر سعود الى اليمن يعلن أننا ننوى فتح ساحات قتال جديدة بدلا من إغلاق الساحات القديمة .

وصل إلى صنعاء يوم ٢٣ ابريل ١٩٦٧ المشير عامر والملك السابق الذى أعلن (اعترافه باسم الشعب السعودى بأكمله بالنظام الجمهورى فى اليمن) . وقال فى مؤتمر شعبى فى صنعاء يوم ٢٤ ابريل ١٩٦٧ (اننى مصرٌّ على استعادة عرشى مهما كان الثمن) فأعلن المشير عامر (انتقال الحرب الدفاعية عن اليمن الى حرب هجومية على السعودية) (الأهرام ٢٨ ابريل ١٩٦٧) .

□ خزائن السفارة الامريكية □

ازدادت الأزمة تعقيدا بين مصر والولايات المتحدة بإعلان السلال يوم ٢٧ ابريل ١٩٦٧ أن طلقات من مدفع بازوكا أمريكى انطلقت على مستودع ذخيرة للجيش اليمنى ، وأنه استعان بضباط مظلات مصريين اقتحموا معسكرا ملحقا بالسفارة الامريكية فى تعز وألقوا القبض على اثنين من

الامريكيين وفتحوا خزائن النقطة الرابعة واستولوا على ما بها من وثائق .

اتهمت امريكا مصر بكسر خزائن سفارتها للاستيلاء على وثائقها . واتهم السلال امريكا بالتآمر على أمن اليمن ، وأعلن فى ٢٨ ابريل ١٩٦٧ أنه (إذا كانت امريكا قد تعودت أن تأمر وتنهى فى اجزاء من شبه الجزيرة العربية فهناك اجزاء أخرى لا تملك امريكا فيها امرا ولا نهيا) فاجتمع القائم بالأعمال الامريكى فى القاهرة (فى نفس اليوم) بمدير مكتب وزير الخارجية المصرية ، تأكيدا للولاية المصرية على السلال ، وطلب ترحيل الرعايا الامريكيين من اليمن ، وتم ترحيلهم فعلا يوم ٣٠ أبريل ١٩٦٧ .

وبينما كان السلال يهاجم الرئيس الامريكى فى صنعاء يوم ١٣ مايو ١٩٦٧ ، كان عبد الناصر مجتمعا مع الملك السابق سعود فى القاهرة بعد عودته من اليمن . وأغلب ظنى أن ذلك كان بمثابة ساعة الصفر التى كان الاتحاد السوفييتى يستعجل تحديدها ، بينما كانت الولايات المتحدة تفضل تأجيلها وتصبر (بمرارة) على زعامة عبد الناصر فى غياب البديل المصرى الذى يستمر فى إغلاق النوافذ العربية الشيوعية المفتوحة .

□ رهان شرقى فى سباق غربى □

تبينت الولايات المتحدة أنها تسرعت باعترافها بالنظام الجمهورى عندما كنت فى الحكم وتمكنت (مخلصا) من

استمالتها لصالح اليمن ومصر والأمة العربية حين رفعت لها أغصان الزيتون ، ثم أحرقها اعوان عبد الناصر ، وشهروا مكانها سيف الملك السابق سعود ، فاقتنعت الولايات المتحدة بأن سياسة (تحمل نتائج عملك التى جعلتها تصبر أربعة أعوام (بمرارة) على التهديد المصرى السوفييتى من اليمن قد بلغت غايتها ، وانطوت صفحتها وانتهت قصتها ، فأصبحت لا تطيق مرارة الصبر عليها .

فبترول الجزيرة شريان الحضارة الغربية ، وموقعها الاستراتيجى قلب هذا الشريان النابض . وكانت اصابع الشرق التى حرضت الدكتور مصدق على تأميم البترول فى ايران قد فرضت مخاوف الغرب على كنوز البترول فى الخليج .. تلك المخاوف التى أيقظها عبد الناصر حين أخرج سيف الملك السابق سعود من غمده ، فأطلت مخالب الشرق الماركسى من ثقوب القفاز المصرى الاشتراكى .

فعلى أثر اجتماع عبد الناصر بالملك السابق سعود (١٣ مايو ١٩٦٧) تلاقت النظرات الامريكية النافذة فى العيون السوفيتية المتحفزة ، مع اختلاف الاسباب وتناقض الاهداف ، مادام التخلص من الزعامة الناصرية يحتاج إلى رهان شرقى جديد .. فى سباق غربى جديد .. ينتهى الى واقع عربى جديد .. فقام المسئول السوفييتى بدوره وأوحى الى عبد الناصر بأخبار ملفقة عن حشود اسرائيلية على حدود سورية ، فاستدرجه الى الكمين .

كانت أدلة الكمين واضحة أمام عبد الناصر ، ومن بينها على

سبيل المثال .. أنه أثناء تدفق الحشود الاسرائيلية فى اتجاه الجبهة المصرية يوم ١٨ مايو ١٩٦٧ أجرى (فى نفس اليوم) إيجال اللون وزير العمل الاسرائيلى المرشح لوزارة الدفاع مباحثات فى موسكو ، ثم ادعى سيميونوف وكيل الخارجية السوفييتية للسفير المصرى أن زيارة الصقر الاسرائيلى كانت مجرد مرور عابر Transit . كذلك كان منتشرا فى أروقة الأمم المتحدة أن يوثانت سأل المندوب الأمريكى جولدبرج[1] عما يشاع عن (ترتيبات أمريكية اسرائيلية لإيقاع مصر فى فخ عسكرى) كما قطعت الأردن علاقاتها الدبلوماسية مع سوريا وطلبت من أمريكا نقل الطائرات الأردنية الخمس والعشرين النفاثة المقاتلة F 104 الى خارج المنطقة بينما كانت الحشود المصرية تنتشر فى سيناء دفاعا عن سوريا .

□ مهمتى فى دمشق □

على الجانب السورى ذهبت إلى دمشق فى مهمة رسمية يوم ٢٧ مايو ١٩٦٧ فالتقيت فى فندق أمية باللواء شاكر محمود وزير الدفاع العراقى ، فأبلغنى أنه وصل قبل أسبوع للحصول على إذن سورى بمرور القوات العراقية لتتخذ مواقعها فى مرتفعات الجولان ، لكنه أمضى أسبوعا ولم يسأل عنه أحد .

---

(١) رد المندوب الأمريكى قائلا (ان السكرتير العام لا ينبغى له أن يصدق مثل هذه الشائعات مهما كان مصدرها ، وأن أروقة الأمم المتحدة تتحول فى بعض الاحيان الى عش زنابير لا تكف عن الزن والطنين) برقية الى عبد الناصر من محمد القونى مندوب مصر لدى الأمم المتحدة تضمنت حديثه مع السفير الفرنسى بعد مقابلته ليوثانت .

فلما التقيت بالرئيس السورى نور الدين الأتاسى بحضور صلاح جديد أمين الحزب وإبراهيم ماخوس نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية وحافظ الأسد وزير الدفاع شرحت ما سمعت من الوزير العراقى ، بينما يحتاج الجيش العراقى سبعة أيام ليصل إلى مرتفعات الجولان فيأخذ مواقعه الدفاعية ، فقال إبراهيم ماخوس ان سوريا لا تحتاج إلى مساعدة عسكرية من أحد وأن مرتفعات الجولان ، وهى فى حماية القوات السورية ، لا تستطيع اسرائيل مع الولايات المتحدة أن تأخذ منها شبرا . قلت إذن لم يكن هناك مبرر لحشد عبد الناصر قواته فى سيناء للضغط على اسرائيل دفاعا عن سوريا فقال نائب رئيس الوزراء ان سوريا لم تطلب مساعدة من أحد .

أرسلت الى عبد الناصر نتيجة الزيارة فى برقية رمزية عاجلة من بيروت بواسطة اللواء محمد كوثر (حاليا بالمعاش) ثم عدت الى القاهرة وشرحت للرئيس المزيد من أدلة الكمين بحضور مسئولين ، محذرا من الاندفاع اليه ، مقترحا حتمية الاسراع بالابتعاد عنه . (شهد بحديثى وتحذيرى الفريق أول عبد المحسن كامل مرتجى قائد جبهة سيناء فى مقال عن حرب يونيه فى مجلة اكتوبر ٧ يونية ١٩٨٧) لكن عبد الناصر لم يلتفت الى الكمين رغم وضوح أدلته فاندفع بين قضبانه ، وفى ذلك تفاصيل وأسرار كثيرة تحتاج الى حلقات خاصة .

□ السلال وقتل المصريين فى صنعاء □

بعد هزيمة ٥ يونيه اجتمع فى الخرطوم يوم ٢٩ أغسطس ١٩٦٧ الرئيس عبد الناصر مع الملك فيصل ووزير الدفاع السعودى الأمير سلطان ووزير الخارجية المصرى محمود رياض فى بيت رئيس الوزراء السودانى محمد أحمد محجوب ، واتفقوا على إنهاء مشكلة اليمن باتفاقية أخذت إسم (اتفاقية الخرطوم) واقتضت تشكيل لجنة ثلاثية برئاسة الاستاذ محجوب لمعالجة هذه المشكلة كى تعود القوات المصرية من اليمن .

رفض السلال مبدأ عودة القوات المصرية واعترض على الاتفاقية فى مؤتمر القمة ، وانسحب من الاجتماع مستخدما ألفاظا اضطرت عبد الناصر الى الاعتذار عنها للملك فيصل ، وسافرت اللجنة إلى صنعاء يوم ٣ أكتوبر ١٩٦٧ بصحبة الفريق أول محمد فوزى القائد العام للقوات المصرية ، فنظم السلال مظاهرات أخرجها من رئاسة الجمهورية ، بقيادة ابنه العقيد على السلال ورفيقه الماركسى الدكتور محمد على الشهارى ، واتجهت الى القيادة المصرية حيث كانت اللجنة تنتظر السلال ، وأطلق المتظاهرون النار على مبنى القيادة فأمر الفريق فوزى بإغلاق أبوابها وعدم الرد عليهم .

طافت المظاهرات بشوارع صنعاء تتقدمها مكبرات الرئاسة وسيارات الحكومة ، وكان الجنود المصريون غير المسلحين منتشرين فى الاسواق لشراء هدايا العودة ، فانقض عليهم

المتظاهرون وقتلوا منهم أكثر من مائة شهيد (قصة ثورة ٢٣ يولية عبد الناصر والعرب للاستاذ أحمد حمروش)[1] . فغادرت اللجنة صنعاء يوم ٤ أكتوبر ، واجتمعت بها فى القاهرة يوم ٥ أكتوبر ١٩٦٧ وشهد رئيس الوزراء محجوب بأننى كنت على صواب حين نصحت اللجنة بعدم السفر إلى اليمن لمعرفتى بطبيعة السلال واصراره على بقاء القوات المصرية حماية لشخصه .

□ خروج القيادات اليمنية من السجون المصرية □

أخذنى السادات مع محمد محجوب رئيس الوزراء السودانى الى عبد الناصر لاستمالته الى اطلاق سراح القيادات اليمنية من السجون المصرية ، وكانت لمكانة وبلاغة الرئيس السودانى الفضل الأول فى نجاح مهمتنا . وبعد أن نجحنا فى إخراج هذه القيادات ناقشت الموقف اليمنى مع القاضى عبد الرحمن الاريانى ، فاتفقنا على أن السلال لا يصلح للحفاظ على النظام الجمهوري بعد رحيل الجيش المصرى .

إقترحت على الاريانى انقلابا يجمع شتات الجمهوريين

---

(١) عندما علم قائد القوات المصرية اللواء طلعت حسن ان المظاهرات لم تكتف بقتل هؤلاء الجنود المصريين وأنها اتجهت الى اقتحام البيوت لقتل الجنود الذين احتموا فيها اضطر القائد المصرى الى توجية انذار نهائى الى السلال ونائبه اللواء عبد الله جزيلان بأنهما (إذا لم يقوما بوقف هذه الأعمال الاجرامية خلال نصف ساعة فأنهما يتحملان شخصيا مسئولية ذلك) وعندئذ فقط توقفت المظاهرات فورا .

الذين مزق السلال صفوفهم ، فسألنى عن رئيس الانقلاب قلت انه الاريانى نفسه ، الذى يحظى بثقة الجمهوريين وإحترام الاماميين . فسألنى عن دورى فى الانقلاب قلت انه الولاء له ، والكتابة الى أصحابى اشرح لهم حتمية التغيير حتى يتأهبوا لتأييده .

ثم أخذت أقنع الفريق حسن العمري بسفره مع الخمسين العائدين الى اليمن ، لكنه كان حزيناً على دوره فى الثورة ومجازفته بإبلاغى برقيا من صنعاء بساعة الصفر قبيل قيام الثورة ، ثم دفاعه عن الجمهورية ، ثم كانت مكافأته بزنزانة فى السجن الحربى أربعة عشر شهرا ، وشد بصرى إلى قدميه اللتين تضخمتا ، من عدم الحركة وعدم العلاج فى زنزانته الضيقة ، لكنه اقتنع بالعودة الى اليمن للاشتراك فى حماية الجمهورية حتى لا تسقط بعد عودة القوات المصرية .

□ عزل السلال □

سافر إلى اليمن الخمسون الخارجون من السجون يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٦٧ ، وكانت صداقة السلال (مرفوضة) على الصعيد الجمهورى ، ورقبته (مطلوبة) على الصعيد الإمامى ، فقرر الهرب من اليمن ، ووصل إلى القاهرة يوم ٣١ أكتوبر ١٩٦٧ فى طريقه الى بغداد ثم موسكو ، وفى ٥ نوفمبر ١٩٦٧ قام الانقلاب الجمهورى المتفق عليه برئاسة القاضى الاريانى وأرسل برقية لعبد الناصر جاء فيها :

(بعد صبر طويل على عبث السلال الذى كان آخره احداث الثالث من أكتوبر ، التى ذهب ضحيتها إخوان أعزاء ، وكللت وجه اليمن بالخزى والعار ، قرر الشعب اليمنى بكل فئاته خلع السلال من رئاسة الجمهورية ، وتجريده من مناصبه الرسمية ، ورتبه العسكرية ، ويهمنى أن أؤكد لسيادتكم حرص الجمهورية العربية اليمنية ، حكومة وشعبا ، على الاحتفاظ بأقوى العلاقات مع شعب وحكومة الجمهورية العربية المتحدة .. وسوف يظل الشعب اليمنى أبدا ودائما ذاكرا جميل ومساندة شعب الجمهورية العربية المتحدة وحكومته الشقيقة بكل تقدير وإكبار..)

رد الرئيس عبد الناصر على القاضى الاريانى ببرقية جاء فيها :

(تلقيت باهتمام برقيتكم بشأن التطورات الأخيرة فى اليمن ، وإذ أبعث إليكم بشكرى على ماأبديتموه من مشاعر التقدير للدور الذى قام به الشعب المصري وجيشه إسهاما فى الدفاع عن ثورة اليمن فإننى أود أن أؤكد لكم أن الباعث الاساسى لهذا الدور كان حق الأخوة العربية وشركة المصير الواحد ، وأننا لنشعر بأن التكريم الحقيقى لكل ما بذل من الجهود والتضحيات هو المحافظة على سلامة الثورة وفتح الطريق دائما أمام مسيرتها ..)

□ الحساب الختامى □

بفضل القوات المصرية طرقت الحضارة الحديثة أبواب

اليمن بعد الف ومائة عام ، فالتحق شعب اليمن بسكان الأرض وأصبحت له كلمة مسموعة دوليا ومؤثرة عربيا بصرف النظر موقف حكومته الخاطئ فى مؤتمر بغداد الذى قرر قطع العلاقات الدبلوماسية مع مصر بينما كان الموقف التاريخى والأخلاقى يقتضى أن تعلن - إذا شاءت - رفضها لمعاهدة كامب ديفيد ، ثم ترفض قطع علاقاتها الدبلوماسية مع مصر ، كما أحسنت سلطنة عمان التى لاتوجد فى ترابها جمجمة لشهيد مصرى واحد . ثم يضاف إلى هذا الموقف الخاطئ إفتعال هذه الحكومة أزمة رخيصة مع صيادين مصريين بدعوى إنتهاكهم المياه الاقليمية اليمنية ، وهو مبرر قانونى ، لكن الواجب التاريخى والأخلاقى يقتضى معالجته فى إطار التضحيات الغالية التى بذلتها القوات المصرية الباسلة دفاعا عن الجمهورية اليمنية وحماية لأرضها وسمائها ومياهها الاقليمية طوال خمس سنوات كبيسة نقلت اليمن إلى حياة القرن العشرين ، فأثمرت قيام هذه الحكومة التى هان عليها قطع تلك العلاقات وافتعال هذه الأزمة .

وعلى صعيد عودة القوات المصرية فقد بدأت عودتها الأخيرة يوم ١٤ أكتوبر ١٩٦٧ بينما كانت عودتها (الأولى) يوم ٢٤ مايو ١٩٦٣ لكنها رجعت مرة أخرى إلى اليمن يوم ٢٥ يونيو ١٩٦٣ على نحو ما سبق شرحه فى الحلقة السابقة .

وبينما كانت عودتها (الأولى) فى بهجة الاحتفالات التى رأسها عبد الناصر ، كانت عودتها (الثانية) فى حسرة الهزيمة التى أعلن عبد الناصر مسئوليته عنها ، وقال نائب رئيس الجمهورية السابق حسين الشافعى (مات عبد الناصر

فى ٥ يونية ١٩٦٧ وتأخر الإعلان عن وفاته الى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠).

كانت طموحات الرئيس طموحات قومية ، تعبر عن أحلام الأمة العربية ، لكنه استورد لها شعارات اقتصادية تتنافى مع طبيعتها وشروط نهضتها واستعان بأهل الثقة فأضلوه ، واستهان بأهل الخبرة فاجتنبوه ، وتجاوز قدراته متعلقا بالمستحيل متعاليا على الممكن .. فاندفع (باختياره) إلى كمين مكشوف ، ومعركة (سياسية) ظلمت القوات المصرية ، فى (مسرحية) عسكرية حبكت قصتها واشنطون ، أخرجت مناظرها موسكو ، قامت بأدائها اسرائيل ، وكانت ضحيتها مصر . وفى يدها راية الامة العربية .

ضاع بلح الوحدة فى الشام ..
تاه عنب العروبة من اليمن ..
احترقت أغصان الزيتون ..
من المحيط إلى الخليج ..

* * *

قصة مصر وثورة اليمن ..
قضيتى مع التاريخ ..
وحسرتى فى صدرى ..

نشر فى مجلة أكتوبر العدد ٨٤٣ فى ١٩٩٢/٨/٢٠



الاجتماع المغلق فى بيت الرئيس السودانى محمد أحمد محجوب حيث تم الاتفاق على عودة القوات المصرية .
من اليمن : الأمير سلطان بن عبدالعزيز فالسيد محمود رياض فالأستاذ محمد أحمد محجوب فالرئيس جمال عبدالناصر فالملك فيصل (٢٩ أغسطس ١٩٦٧) .

المذهب الزيدى والمذاهب الأخرى

□ خلاف المتفقين □

مهما إختلف فقهاء المسلمين بين مذاهبهم الإسلامية فإنهم متفقون على وحدة المصدر الإسلامى ، ملتفون حوله ، ملتزمون به ، متفقون على أن للإسلام أصلا واحدا تشعبت منه بقية الأصول وهو نصوص القرآن الكريم الذى أنزله الله تعالى وحفظه (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[1] وأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإذا اختلف الرواة فى سندها ورواياتها فإن الأصل الذى يقوم عليه الدين وأحكامه لا يختلف عليه أحد ، ولذلك إتفقت جميع المذاهب على أن صحيح السنة مصدر من مصادر الدين الإسلامى ، ومن ثم فإن أساس الوحدة الفكرية ثابت بين جميع المذاهب مهما اختلفت فى

---

(١) الآية ٩ سورة الحجر

الإجتهاد فيما لم يرد فيه نص قطعى الورود قطعى الدلالة فى القرآن والسنة .

ومع ثبوت أساس الوحدة الفكرية بين جميع المذاهب توارث المسلمون خلافا عصبيا مذهبيا منبعثا من التعصب السياسى الذى تستمر فى عباءة الإعتقاد الدينى حتى أخذ بعضنا يكفر الآخر من غير حجة ولا بينة ، وصارت للآراء والأفكار عصبية تشبه العصبية الجاهلية ، فابن الشيعى شيعى ، وإبن السنى سنى ، يتوارث المذهب كما يتوارث الجسم واللون من الأب إلى إبنه ، وأصبحت كل طائفة كأنها جنس قائم بذاته . ومن يغير مذهب أبيه كمن يغير دينه ويرتد من بعد إيمان .

لذلك أصبح إنهاء العصبية الطائفية التى تمزق شمل المسلمين ضرورة إسلامية تدعو فقهاء المذاهب الإسلامية إلى استئناف الإجتهاد الإسلامى لإستنباط الأحكام الدينية الضرورية التى تحكم الإحتياجات الدنيوية المتجددة . ولا ضير علينا إذا إختلف الفقهاء فى سباقهم من أجل تحقيق مصالح المسلمين طالما اجتنبوا الخصومة فى الدين ، فإختلاف المجتهدين فى إستنباط الأحكام إختلاف مذهبى يثرى الفكر الإسلامى ، كما أثراه إختلاف الصحابة والمجتهدين فى إستنباط الأحكام بغير خصومة فى الدين ، حيث كان إختلافهم اختلاف مناهج لبيان حكم الشرع ، وسباق فكر إلى طلب وجه الحق ، ومن يلتزم بالدين لا يفرق المسلمين .

□ نشأة المذهب الزيدى □

ولد الإمام زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب مؤسس المذهب الزيدى سنة ٨٠ من الهجرة ، وتلقى علم الفروع فى المدينة ، وذهب إلى البصرة ليأخذ منها علم الأصول ، حيث كان الإمام أبو حنيفة يدرس علم الكلام . فقد كانت البصرة موطن الفرق المختلفة حول العقيدة الإسلامية ، وكان الإمام زيد فى مثل سن الإمام أبى حنيفة الذى قال عن زيد أنه لم يكن فى عصره من هو مثله فى الإجتهاد .

الراجح من سيرة الإمام زيد أنه لم يكن ينوى الإشتغال بالسياسة بالخروج فى طلب البيعة لنفسه إماما على المسلمين ، وإنما كان يريد التفرغ للعلم والفقه مقتفيا أثر أخيه الإمام محمد الباقر الذى كان أعلم أهل زمانه ، وإبن أخيه أفقه أهل عصره الذى كان فى مثل سنه الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر .

لعله فى عزوفه عن طلب البيعة لنفسه كان متأثرا بحزن أبيه الإمام على زين العابدين بن الحسين ، مشفقا على بكائه المستمر ، وهو يعيش مأساة أهله الشهداء . وكان يرد على لائمه فى حزنه وفى بكائه قائلا (إن يعقوب عليه السلام بكى حتى إبيضت عيناه على يوسف ولم يعلم أنه مات ، وأنى رأيت بضعة عشر من أهل بيتى يذبحون فى غداة يوم واحد . أفترون حزنهم يذهب من قلبى ؟) . وفى غمرة هذا الحزن قال للشيعة

الذين غالوا فى محبة آل البيت وذموا الأئمة الراشدين (أيها الناس أحبونا حب الإسلام ، فما برح حبكم حتى صار علينا عارا وحتى بغضتمونا إلى الناس) .

□ الإمام زيد والسياسة □

غير أن حادثة إعترضت عزوف الإمام زيد عن الحكم وأشعلت شغفه بالسياسة ، فأخرجته إلى طلب البيعة لنفسه ، ذلك أن الدعوة إلى تغيير الخلافة الأموية أخذت تنمو وتتسع فى عهد هشام بن عبد الملك أقوى ملوك بنى أمية ، الذى كانت عيونه على الهاشمية التى تظاهرها العلوية فى خراسان وفى العراق التى كان الإمام زيد شغوفا بالتردد عليها ، فإليها قصد العلم ، وفيها استشهد جده الحسين من بعد جده على بن أبى طالب رضى الله عنهما ، وبين شيعتها سادت سمعته . فنهض هشام إلى النيل منها . ولعله كان يظن أن الحركة العباسية التى كانت تسرى بقوة فى الخفاء حتى قضت على الدولة الأموية كانت حركة علوية حيث إتسمت بالهاشمية ، فلم يقاوم العباسية قدر ما تصدى لزيد وشيعته .

فعندما ذهب الإمام زيد إلى دمشق يشكو إلى هشام من واليه فى المدينة خالد بن عبد الملك بن الحارث ، وخاطبه قائلا يا أمير المؤمنين فإذا بهشام يقطع مقالته ويوجه إليه ، رضى الله عنه ، إهانة بقوله (لقد بلغنى يا زيد أنك تذكر الخلافة وتتمناها ولست هنالك وأنت إبن أمة) أى جارية[1] . فرد

(١) يقصد هشام أن أم زيد كانت جارية لأبيه وأنها كانت هندية من السند =

الامام زيد (ليس أحد أولى بالله ، ولا أرفع درجة عنده من نبى إبتعثه . وقد كان إسماعيل إبن أمة[1] . وأخوه ابن حرة فاختاره الله تعالى وأخرج منه خير البشر ، وما على أحد من ذلك إذ كان جده رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوه على بن أبى طالب) فقال هشام (أخرج) فقال زيد (أخرج ثم لا أكون الا حيث تكره) .

من جهة أخرى روى عن الإمام جعفر الصادق أن زيدا لم يخرج لجهاد هشام حتى رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام يقول له (يا زيد جاهد هشاما ولو بنفسك) .

فبعد أن كان الإمام زيد عزوفا عن السياسة ويتردد على العراق للعلم والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر متبنيا منهاج المعتزلة إندفع إلى الخروج إلى ميدان السياسة ، ليرد على هشام إهانته[2] . فأنهى العزلة التى إعتزل فيها آل البيت الإتصال بالناس سياسيا .

= كما كانت جدته لأبيه زوجة الإمام الحسين رضى الله عنه من سبايا الفرس كما روى الزمخشرى فى كتابه ربيع الأبرار .

(١) يقصد الإمام زيد بإشارته الى اسماعيل سيدنا اسماعيل فقد كانت أمة (جارية) لأبيه سيدنا إسحق ثم نسل من ذريته نبينا محمد .

(٢) فى رواية أخرى يذهب بعض المؤرخين الى أن الإمام زيد كان عاقدا العزم على الخروج فى طلب البيعة لنفسه من قبل إهانة هشام . وأن هذه الإهانة لم تكن سببا فى إرادة خروجه ، وكأنهم يرونها سببا فى توقيته . لكننى لا أرجح هذا الرأى لأنه لا يستقيم مع سياق الأحداث . فالثابت أن الإمام زيد هو الذى عزم الى دمشق ملحا على مقابلة هشام يشكو اليه من واليه فى المدينة ، و أن هشاما أذله وهو يرفض عدة مرات الإذن له بالمثول بين يديه ، وعندما اذن له خاطبه الإمام زيد بقوله يا أمير المؤمنين فبادره هشام بالإهانة ، فرد الإمام بالتحدى فى نفس المجلس . والله أعلم .

ذهب الإمام زيد إلى الكوفة بالعراق مستخفيا وأخذ البيعة من الشيعة . وقال إبن الأثير والطبرى أن عدد من بايعه فى العراق بلغ أربعين ألفا . وعندما بدأت المعركة خذله من بايعه ، فلم يجد حوله سوى مائتين وثمانية عشر رجلا ، وذكر بعض المؤرخين أنهم أربعمائة . وقد رفضه كثير من الشيعة عندما أبى أن يذكر بالسوء أبا بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ، فَسُمِي هؤلاء بالرافضة .

استشهد زيد فى المعركة . ولعل مقتل زيد كان من بين أسباب نجاح الدعوة العباسية . وإذا كان قبر زيد قد نُبش وحُمل رأسه إلى هشام فبعد عشر سنين نبش العباسيون قبور الأمويين . وكما ذهب مقتل الحسين بالدولة السفيانية ذهب مقتل زيد بالدولة المروانية فإنقضى عصر الأموية . (وتلك الأيام نداولها بين الناس)[1] .

□ الإمام زيد وأئمة المذاهب الأربعة □

إستشهد الإمام زيد عن إثنين وأربعين عاما ، ثم عاش الإمام أبو حنيفه من بعده ثمانية وعشرين عاما . أما الإمام مالك فكان يصغر الإمامين زيدا وأبا حنيفة سنا ثم عمّر بعدهما طويلا . ثم جاء بعدهم الإمام الشافعى فى عصر ظهر فيه التدوين وتأصيل العلوم كلها ، فبدأ تأصيل قواعد النحو ،

---

(١) الآية ـ ١٤ سورة آل عمران .

ووضع الخليل بن أحمد أصول العروض ، وكتب الجاحظ موازين النقد الأدبى ، فوضع الإمام الشافعى مناهج الإستنباط الفقهى وهو علم الأصول بعد أن قرأ ضروب الفقه المختلفة ووازن بين الأراء المتباينة .

دوّن الإمام الشافعى أصول الفقه ، فحدد المناهج المستقيمة للأستنباط بعد أن كان من سبقه من الأئمة والمجتهدين يلاحظون المناهج عند الأستنباط من النصوص وبالأقيسة الفقهية دون أن يبينوها .

وعلى أثر إستشهاد الإمام زيد مؤسس المذهب الزيدى تفرق أئمة المذهب فى بقاع الأرض الإسلامية فرارا من الإضطهاد العباسى والفاطمى الإسماعيلى ، ولعل ذلك الإضطهاد قد زاد المذهب الزيدى تسامحا وتقبلا للأراء الأخرى التى يظاهرها السند الشرعى . فبينما كانت المناظرات على أشدها بين المذهبين الحنفى والشافعى فى القرنين الرابع والخامس الهجرى كان المجتهدون الزيديون يتقبلون خير ما فى هذين المذهبين عندما تطيب نفوسهم بسلامة حجته ، فضلا عن تقارب المذهب الزيدى فى المعاملات مع أحكام المعاملات فى المذهب الحنفى .

كذلك يتفق المذهب الزيدى مع المذهب الحنفى فى قواعد القياس والإستحسان ثم يتوسع المذهب الزيدى فى الإستنباط ، كما يدخل المناسب المرسل إلى القياس فيقترب من المذهب المالكى ، ويعد ذلك يفتح باب الحكم بالعقل إذا لم يوجد الدليل . وبذلك أخذ المذهب الزيدى المدى الأوسع فى الأصول والمناهج ، أكثر مما فعلت المذاهب الأخرى .

ليس الفقه الزيدى كله فقه الإمام زيد ، بل هو فقه طائفة كبيرة من المجتهدين لأنه فتح باب الإجتهاد (المطلق) ولم يغلقه أبدا ، كما لم يتقيد بالإجتهاد فى الفروع وحدها بل إتسع أيضا للإجتهاد فى الأصول . ثم فتح باب الإختيار من المذاهب الأخرى بما يتفق مع منطق المذهب وأصوله ، وهى أصول متحدة أو على الأقل متقاربة مع جملة الأصول التى قررها فقهاء المسلمين .

يتفق الإمام زيد مع أئمة المذاهب الأربعة فى إيمانه بأن الإسلام يدعو إلى العدالة والمساواة بين جميع المسلمين فقال (الناس بعضهم أكفاء لبعض[1] . عربيهم وعجميهم ، وقريشيهم وهاشميهم ، إذا أسلموا وآمنوا فدينهم واحد ، لهم مالنا وعليهم ما علينا ، دماؤهم واحدة ، وديانتهم واحدة وفرائضهم واحدة ، ليس لبعضهم على بعض فى ذلك فضل)[2] .

وفيما يتعلق بالسياسة فانه يدعو إلى الشورى عند إختيار الإمام من بين المسلمين الأكفاء دون التقيد بنسبهم ، وضرب لذلك مثلا فقال أن الإمام على رضى الله عنه لم يعتبر نفسه وارثا

---

(١) عندما إنحرفت فئة من الأئمة عن المذهب الزيدى فى اليمن حرمت زواج الهاشمية بغير هاشمى وفرضت على أبناء الشعب اليمنى تقبيل أيادى الهاشميين ، ومناداتهم بلفظ « سيدى » فعاب الإمام يحيى حميد الدين على الهاشميين أعضاء هيئة الاستئناف عندما أشاروا الى أحد القضاة من ابناء الشعب فى معرض تعليقهم على حكمه فذكروا أنه « الاخ » فقال لهم الإمام (اخ من ياسبل) والسبل جمع سبلة وهى ذنب الحمار .

(٢) صفحة ٩٢ الامام زيد للعالم الشيخ محمد أبو زهرة .

للخلافة وإن إعتبر نفسه أولى بها . ولذلك رضى ما اختاره أهل الحل والعقد فى سقيفة بنى ساعدة ، ثم رضى أمر الشورى اذ بايعوا عثمان رضى الله عنه ، وأثنى أطيب الثناء على الإمامين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، وقال فيهما (لقد سبقا والله سبقا بعيدا ، وأتعبا من بعدهما إتعابا شديدا ، فذكرهما حزن للامة ، وطعن على الأئمة) .

ويشترط الإمام زيد أن يخرج من يرشح نفسه للإمامة داعيا لنفسه . وساق إلى ذلك سببين . الأول أن أهل الحل والعقد هم الذين يقررون صلاحية المرشح عندما يرون أن إختياره يحقق مصلحة المسلمين . والثانى أن الأصلح ليس بالضرورة أن يكون هو الأفضل .

□ الإمام زيد يعارض الخلافة بالوراثة ولا يشترط الهاشمية فى الإمامة □

ترتب على ذلك أن إتفق الإمام زيد مع مذاهب السنة الأربعة وخالف كل الشيعة فى حكم الخلافة بالوراثة حيث لم يشترط فى الإمام أن يكون عدلا فاطميا ، وإن كان يفضل فقط أن يكون من ذرية على من فاطمة رضى الله عنها . فلم يعتبر هذا النسب شرط صلاحية وإنما مجرد شرط أفضلية عند تساوى المرشحين فى العدل . ولذلك أجاز إمامة المفضول من خارج هذه الذرية مع وجود العدل الأفضل المنتسب إليها ، طالما كانت للمسلمين مصلحة محققة فى ذلك .

هذا ما يقطع بأن المذهب الزيدى لا يعترف بولاية العهد

ويترك أمر إختيار الإمام لأهل الحل والعقد كى يختاروا ما يحقق مصلحة محققة للمسلمين سواء من هذه الذرية أو خارجها .

هذه آراء الإمام زيد فى السياسة التى قام عليها من بعده إبنه يحى الذى ذهب إلى خراسان يدعو لإمامته على أساس أنه الأصلح فى العدل وليس لمجرد كونه الأفضل فى النسب . لكنه قتل كما تنبأ له إبن عم والده الإمام جعفر الصادق الذى التزم الفقه واجتنب السياسة وقال (إن يحى سيقتل كما قتل أبوه ، ويصلب كما صلب أبوه) .

□ المذهب الزيدى فى اليمن □

نشر مبادى المذهب الزيدى فى اليمن الإمام الهادى إلى الحق يحى بن الحسين بن القاسم الرسى[1] الذى ولد بالمدينة سنة ٢٤٥ وذهب إلى اليمن سنة ٢٨٠ فغرس فيها بذرة مذهبه ثم عاد إلى الحجاز . وعندما بحث اليمنيون عن قائد يحاربون به البدع التى أخذت تنتشر فى شمال اليمن ، ويتصدون لدعوة القرامطة التى تاخمت أطرافها ذهب اليه وفد يمنى عاد به سنة ٢٨٤ إلى صعدة فى شمال اليمن حيث وقف يدعو اليمنيين إلى بيعته قائلا :

(أيها الناس إنى أشترط لكم أربعا على نفسى : الحكم

(١) للإمام الهادى اجتهادات خاصة ضمن فقه الزيدية عرفت بإسم الهادوية نسبة اليه ، وهى التى تظاهر بها نظام الحكم الإمامى فى اليمن .

بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، والأثرة على نفسى فيما جعله بينى وبينكم ، أوثركم فلا أتفضل عليكم ، وأقدمكم عند العطاء قبلى ، وأتقدم عليكم عند لقاء عدوى وعدوكم .

وأشترط لنفسى عليكم إثنتين : النصيحة لله سبحانه وتعالى فى السر والعلانية ، والطاعة لأمرى على كل حالاتكم ما أطعت الله ، فإن خالفت فلا طاعة لى عليكم ، وإن ملت وعدلت عن كتاب الله وسنة نبيه فلا حجة لى عليكم . فهذه سبيلى أدعو الله على بصيرة أنا ومن إتبعنى) (1) .

بعد أن استقر الإمام الهادى فى صعدة أخذ ينشر بين الناس العدالة الحقيقية والمساواة الفعلية فنظم بيت المال ، وجمع الزكوات والجزية ووزعها بين أهلها ، وأوجب صرف ربع ما يجمع بين أهل القرية التى جمعت الزكاة منها ، ونفذ ماعاهد اليمنين عليه عندما مادعاهم إلى بيعته وكان القرامطة الذين إنتحلوا غلاة الشيعة قد أخذوا يخربون الديار الإسلامية حتى أنشأوا دولتهم الإسماعيلية فى المغرب ، ولما تاخموا حدود اليمن وناولا أطرافها قاتلهم خمس سنوات حتى إستشهد فى هذا الجهاد .

ومن يتتبع رسائله وعهوده يجد أنه يعود بالإسلام إلى عهده الأول عهد أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم . فقد كان الإمام الهادى يعتبر أن مهمة الحاكم تنفيذ أحكام الله تعالى حتى يشعر بها الضعيف قبل القوى . فأقام الحدود

---

(1) ورقة رقم ٣٢ فى تاريخ الهادى . مخطوط بدار الكتب المصرية .

الشرعية التى كانت معطلة ، ولم يعف منها كبيرا ولا صغيرا ، بل نفذها على الكافة وبغير إستثناء [1] .

□ خروج أئمة اليمن عن مذهبهم □

إستقر المذهب الزيدى فى شمال اليمن بينما استمر المذهب الشافعى سائدا فى وسط اليمن وجنوبها . ثم جاءت طائفة من الهاشميين إنحرفت بالمذهب الزيدى ونهجت مناهج ليست من أصله ، كما فعل من ينتسبون فى دعايتهم لآل البيت بينما يخالفون الائمة الأعلام مخالفة صريحة .

وكما أخطأت طائفة من المسلمين حين دعت إلى حصر الخلافة فى قريش إستحدثت طائفة من الهاشميين شرطا دخيلا على المذهب الزيدى أسفر عن تحويله من مذهب دينى يجتهد لصالح المسلمين إلى حزب سياسى يمزق شملهم ، وذلك حين إشترطت هذه الطائفة أن يكون الإمام من بننى هاشم حتى اذا وجد غير الهاشمى الأكفأ والأصلح منه ، وكأن الإسلام ، والعياذ بالله ، قد جاء ليحتكر السيادة فى ذرية بعينها وحدها دون سواها . أو يرضى عن التمييز بين المسلمين بسبب النسب

---

(١) يرى الإمام الهادى أن من تتوفر فيه شروط الإمامة فإن اختياره يكون بأمر الخالق وليس للخلق سوى طاعته ، لكنه لم يوضح للمسلمين كيف يستدلون على الإمام الذى إختاره الخالق . فالله عندما يصطفى أنبياءه يدل عليهم بآياته ومعجزاته . لذلك إن صحت هذه الرواية فإننى أختلف مع الإمام الهادى فى هذا الرأى الذى يقترب من عصمة الإمام ويبتعد عن مراجعته كما يلغى مبدأ الشورى ويهدر شرط الصلاحية التى يقررها أهل الحل والعقد .

أو الجنس أو اللون بعد أن قال الله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)[1] .

فى علم الله تعالى أن طائفة من المسلمين سوف تخرج عن تعاليم الإسلام فتدعى إحتكار الخلافة بالوراثة عن النبى ، فتزعم الإنفراد بالسيادة على سائر المسلمين ، فقال تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما)[2] .

فى علم الله تعالى أن هذه الطائفة سوف تهدم صرح العدالة والمساواة ركيزة الدين وجوهرة الإسلام ، وتقطع حبل الله تعالى الذى أمرنا بالإعتصام به حتى لا نتفرق ، فأفسد الله تعالى حجتها وأبطل دعواها بهذه الآية الكريمة قاطعة الدلالة على أن محمدا ﷺ ليس أبا لأحد من الناس كافة ، وإنما هو رسول الله وخاتم النبيين . ولله تعالى حكمته فى أن يُرجع اليه نفسَ إبراهيم إبن رسول الله ﷺ وعمره سنة ونصف سنة ، ولو أنه عاش إلى ما بعد وفاة الرسول الكريم لأختلفت رواية الصراع فى التاريخ الإسلامى أختلافا جذريا ، والله أعلم بمراده .

لذلك فإننى أختلف مع الإمام محمد الباقر إذا صحت رواية إبن الرزاز عنه فى كتابه (مناقب أبى حنيفة) حيث ذكر أن (الذى بقر العلم وشقه) الإمام محمد الباقر بن على بن زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب سأل الإمام أبا

---

(١) الآية ١٣ سورة الحجرات .

(٢) اية ٤٠ سورة الاحزاب .

حنيفة عندما التقى به فى المدينة قال له (أنت الذى حولت دين جدى وأحاديثه بالقياس ؟) فجادله الإمام أبو حنيفة حتى أقنعه .

فإذا صحت هذه الرواية فأننى أختلف مع الإمام محمد الباقر على وصف الدين الإسلامى بأنه (دين جده) . لأن الدين ليس دين أحد من البشر . فقال تعالى : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله)[1] .

□ الدين كله لله وليس لجد أحد □

فالدين كله دين الله وليس تركة لأحد من البشر حتى تتوارث هذه التركة وتستأثر بها ذرية بعينها دون غيرها من سائر المسلمين . فجميع المسلمين المؤمنين يشتركون فى شرف السجود والإقتراب من الله تعالى الذى قال (كلا لا تطعه وإسجد وإقترب)[2] وحين يعبدون الله تعالى فإنهم يشتركون جميعا فى شرف (الإنتماء) إلى أمة واحدة تعبد الله الذى قال : (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)[3] كما يشتركون فى شرف (الإلتزام) بسنة نبية ﷺ لأنهم لا يعبدون الله الا بالإلتزام بها .

وإذا إنفردت ذرية واحدة بشرف (الإنتساب) الى الرسول ﷺ فلها هذا الشرف ، لكن (الإنتساب) ليس معيار العمل

---

(١)الآية ٣٩ سورة الانفال .
(٢) الآية ١٩ سورة العلق .
(٣) الآية ٩٢ سورة الانبياء .

الصالح الذى يدعو إليه الإسلام ، لأن النسب لا ينبثق من إرادة المنتسب ، بينما الإرادة هى وحدها مناط التكليف وشرط الثواب والعقاب . فالمنتسب يولد منسوبا إلى نسبه دون فضل منه ولا إرادة ، وقد يسىء المنتسب الى نسبه بعمل غير صالح يعاقبه الله عليه . لذلك قال رسول الله ﷺ (يابنى هاشم لا يأتينى الناس بالأعمال وتأتونى بالانساب) .

لكن كثيرا من الأئمة الذين جاءوا من بعد الإمام الهادى وحكموا اليمن كانوا من الطائفة التى أهدرت قواعد الإسلام حين خرجت عن مبادىء المذهب الزيدى وقيمه وسماحته ودعوته الى العدالة والمساواة ، فتحولت الى طواغيت أذلت أهل اليمن باسم المذهب الذى خرجت عنه ، فمزقت شمل اليمنيين ، واستحلقت دماءهم ، واستباحت أموالهم ، ودقت أعناقهم ، وأعاقت حضارتهم ، حتى قامت الثورة اليمنية التى كان أول أهدافها التى أعلنتها فور قيامها (إحياء الشريعة الإسلامية الصحيحة بعد أن أماتها الحكام الطغاة الفاسدون وإزالة البغضاء والأحقاد والتفرقة السلالية والمذهبية) كما كان أول نص فى دستورها (العودة الى شريعة الإسلام الحقة بعد أن أهدرها الأئمة السابقون خلال الألف والمائة عام الماضية)[1] .

□ دوافع الثورة اليمنية □

لو أن أئمة اليمن التزموا بقواعد الإسلام ومبادىء الإمام

(١) خلال هذه القرون تولى أمر اليمن أئمة صالحون مصلحون لكنهم كانوا إستثناءات من قاعدة ظالمة تبلورت فى أسرة حميد الدين آخر الأئمة .

زيد وشروط بيعة الإمام الهادى يحى بن الحسين رضى الله عنهما لما كانت باليمن حاجة الى ثورة ، ولما شكى اليمنيون المتبعون للمذهب الشافعى وهم أغلبية شعب اليمن من ظلم الإمام الزيدى ، ولما تخلى عنه المتبعون للمذهب الزيدى . فلقد رحبوا بالتخلص منه بعد أن أهلك (تحت سمعهم وبصرهم ورغم أنوفهم) الأخضر واليابس وجعل أعزة شعب اليمن كلهم أذلة ، حتى أصبح الشعب اليمنى بجميع طوائفة وفئاته سخرية للعالمين .

فالثورة اليمنية لم تقم ضد المذهب الزيدى الذى أسسه الإمام زيد وتضمنته بيعة الإمام الهادى رضى الله عنهما وإنما قامت ضد ركائز الظلم والطغيان والتخلف والفساد التى سادت النظام الإمامى بعد أن إنحرف عن الذهب الزيدى ، تلك الركائز المنحرفة التى أرهقت الشواقع والزيود ، مع الإختلاف بينهم فى درجات الإرهاق والإتفاق فى نوعه .

كما لم تقم الثورة ضد الهاشميين اليمنيين وإنما قامت ضد الشرط السياسى غير الإسلامي ، ولا الإنسانى ، الذى أدخلته طائفة الهاشميين التى خرجت عن قواعد الإسلام حين أرادت أن تحتكر الحكم باسم وراثة النبى ﷺ ، فمزقت شمل اليمنيين ، وظلمت الهاشميين وغير الهاشميين ، وأيضا مع الإختلاف بينهم فى درجات الظلم والإتفاق فى نوعه .

ولذلك إشترك فى قيام الثورة هاشميون وغير هاشميين ، فقهاء وقبائل ، زيود وشوافع ، حكام ورعايا ، لأن الشعب اليمنى كله وبجميع فئاته كان يعانى من ظلم الفئة الإمامية التى حولت الإمامة الى ملك عضوض فاسد .

لم تقم الثورة اليمنية انتصاراً للمذهب الشافعي على المذهب الزيدي[1] ، لأن الإسلام لا يقر التعصب المذهبي بل يدعو إلى الإجتهاد المستمر ، ويرفض أن يتوقف حتى تقوم الساعة كي يمكن إستنباط الأحكام الشرعية التي تلبي احتياجات المجتمع المستمرة في التطور ، الأمر الذي لا يكتمل فيتحقق الا بالإنتفاع بكل ما يمكن الاستناد إليه من آراء فقهية في جميع المذاهب .

وحين لا يوجد في هذه المذاهب من آراء تلبي هذه الاحتياجات المتطورة (بسبب إختلاف العصر الذي إجتهد فيه الفقهاء السابقون) عندئذ يلزم إستنباط الأحكام الشرعية التي تلبي هذه الاحتياجات بما لا يخالف القرآن وصحيح السنة ، وإن إختلف هذا الإستنباط مع بعض هذه المذاهب أو كلها[2] .

---

(١) ولد أبي في قبيلة مراد (محافظة مأرب حاليا) وعاش طفولته في مدينة البيضاء شرق اليمن . وهذه المنطقة تنتمي إلى المذهب الشافعي ، ولذلك كان ابي شافعيا فولدت شافعيا ، لكنني أدعو إلى الانفتاح على جميع المذاهب والانتفاع منها بكل ما يمكن الانتفاع به على طريق الإجتهاد الإسلامي المستمر .

(٢) لا نجد خلافا كبيرا بين المذاهب الرئيسية فقد كان الإمام أبو حنيفة تلميذا للإمام زيد ، والإمام زيد تلميذا لواصل بن عطاء أحد رؤوس المعتزلة ، وكان الإمام مالك تلميذا للإمام جعفر الصادق راس الشيعة الإمامية أو الجعفرية . ونجد روابط بين السنة والإمامية في شخص مالك وجعفر ، وبين السنة والزيدية في شخص أبي حنيفة وزيد ، وبين السنة والمعتزلة في أشخاص الحسن البصري وعمرو بين عبيد وواصل بن عطاء ، وبين الزيدية والمعتزلة في شخص زيد وواصل ، وبين الزيدية والإمامية في شخصي الأخوين زيد ومحمد الباقر ، وبين السنة والخوارج في شخص البخاري وعمران بن حطان الذي أملى الحديث على البخاري . فإذا اسقطنا شرط الهاشمية والقرشية عند إختيار ولي الأمر ثم اجتهدنا لإستنباط الاحكام الشرعية للقضايا المتجددة بالانتفاع بخير ما ورد في هذه المذاهب ، ثم الرجوع الى القرآن وصحيح السنة عندما لا نجد في هذه المذاهب ما يلبي إحتياجات هذه =

ذلك ما أقره الرسول ﷺ حين بعث معاذ بن جبل إلى اليمن وسأله (كيف تصنع إن عرض عليك قضاء ؟) قال (أقضى بما فى كتاب الله) قال (فإن لم يكن فى كتاب الله ؟) قال (فبسنة رسول الله) قال (فإن لم يكن فى سنة رسول الله) قال (أجتهد برأيى لا آلو) فضرب رسول الله ﷺ بيده على صدره وقال (الحمد لله الذى وفق رسول الله لما يرضى رسول الله) .

لقد تحللت مصر منذ نحو سبعين عاما من التقيد بمذهب الإمام أبى حنيفه وأخذت فى الأحوال الشخصية من المذاهب والفرق الإسلامية الأخرى . فأخذت من مذهب الإمام جعفر الصادق (وهو مذهب إمامى) أحكام الاطلاق المعلق والمقترن بالعدد لفظا أو إشارة وإعتبرت أنه لا يقع الا طلقة واحدة ، كما أخذت الأصل الذى قامت عليه الوصية الواجبة من فقة الظاهرية ، وأخذت إجازة الوصية لوارث من فقه الإمامية .

قامت الثورة اليمنية ضد التعصب بكافة صورة ، وفى مقدمتها التعصب السياسى الذى مارسته طائفة من الأئمة الزيود على نقيض الإسلام وخلاف المذهب ، فقد غرست هذه الطائفة المنحرفة الفتن بين القبائل اليمنية إنتفاعا بسياسة (فرق تسد) وأوجدت التفرقة بين الصفوة المنتفعة من الهاشميين الذين إحتكرت لهم السيادة والحكم وبين عامة

= القضايا المتجددة ، عندئذ يتفق المسلمون ويعتصمون بحبل الله جميعا ولا يتفرقون ويذكرون نعمة الله عليهم إذ كانوا أعداء فألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانا .

الشعب الذين فرضت عليهم السمع والطاعة ، والخضوع الأعمى ، كما قال الإمام أحمد بن يحى حميد الدين آخر الأئمة (أطيعوا أمرى ولو كان أعوج من ذنب الكلب) .

على نقيض هذه الطائفة المنحرفة يعتقد أتباع المذهب الشافعى أن شرط الإسلام ورأى الإمام زيد وما أجمعت عليه مذاهب السنة الأربعة أن ولى الأمر يمكن أن يكون من الذرية الهاشمية كما يمكن أن يكون من خارجها مادامت تتوفر فيه شروط الصلاحية . لذلك أثمت الطائفة المنحرفة من الأئمة فى اليمن حين إعتبرت أتباع المذهب الشافعى كفار تأويل لأنهم لا يقرون الإمتياز السياسى غير الإسلامى الذى أقحمته هذه الطائفة على المذهب الزيدى وهو أن يكون ولى الأمر من الذرية الهاشمية وحدها دون سواها .

كان الشعب اليمنى قبل قيام الثورة فى أشد الحاجة الى انتفاضة على نظام حكمه ، فتوليت الدعوة إلى إسقاط النظام الإمامى الذى إنحرف عن مذهبه . وكان لابد من كشف هذا الإنحراف حتى تستيقظ جموع الشعب التى خدرتها الشعارات الدينية المزيفة التى روجت بين البسطاء عصمة الأئمة المتسلطين على الشعب ، وقداسة أدعياء آل البيت المستفيدين من هذا التسلط .

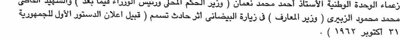
دعوت إلى إزالة جميع الرواسب ، التى خلفها إنحراف الحكام الفاسدين ، فدعوت إلى تحقيق العدالة والمساواة بين جميع أبناء اليمن ، وإعتبار الكفاءة وحدها بعناصرها الدينية والأخلاقية والمهنية الشرط الوحيد لشغل جميع الوظائف إبتداءً

من أقل وظيفة عامة وانتهاء برئاسة الدولة ، واعتبار التفرقة العنصرية ، أو الطائفية ، أو القبلية ، أو المناطقية ، جريمة ذات عقوبة رادعة ، لا تسقط بالتقادم ، وتتضمن العزل من الوظيفة العامة إذا كان مرتكبها موظفا عاما ، ولا تسقط بالتقادم ، ولا تحول دون العقاب عليها حصانة برلمانية ، أو وزارية ، أو رئاسية .

وحين يتساوى جميع المواطنين أمام القانون المنبثق من مصدره الوحيد وهو الشريعة الإسلامية يصبح معيار التكريم الاجتماعى مرتبطا بسلوك المواطن الذى هو جوهر التقوى التى اعتبرها الله تعالى المعيار الموضوعى الوحيد للتكريم فى قوله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وبعد ذلك يفاخر كل مسلم بنسبه كما يريد .

ويجتهد ما إستطاع لمذهبه كيف يشاء .
طالما لا يتعالى بنسبه .
ولا يتأجر بمذهبه .
وعندئذ يكون قدوة صالحة فى وطنه ..
وشمعة مضيئة من شموع الإسلام ..

(اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع)
صدق رسول الله ﷺ



زعماء الوحدة الوطنية الأستاذ أحمد محمد نعمان (وزير الحكم المحلى ورئيس الوزراء فيما بعد) والشهيد القاضى محمد محمود الزبيرى (وزير المعارف) فى زيارة البيضانى أثر حادث تسمم (قبيل اعلان الدستور الأول للجمهورية ٣١ أكتوبر ١٩٦٢) .

المحتويات

الموضوع	الصفحة

■■ صدر للمؤلف ■■

- ■ الاعيب متوكلية : (عام ١٩٦١) :
- ■ اقتصاد اليمن : (عام ١٩٦١) :
- ■ أسرار اليمن : (عام ١٩٦٢) :
- ■ الظروف المحيطة باتفاقية الوحدة اليمنية : (عام ١٩٧٢) :
- ■ سوق الشعارات في اليمن : (عام ١٩٧٣) :
- ■ البديل للصراع الدموي في اليمن : (عام ١٩٧٤) :
- ■ لهذا نرفض الماركسية : (عام ١٩٧٤) :
- ■ نكبة الشعارات على الأمة العربية : (عام ١٩٧٥) :
- ■ أزمة الأمة العربية وثورة اليمن : (عام ١٩٨٣) - الطبعة الخامسة ١٩٨٧ :
- ■ مأزق اليمن في صراع الخليج الطبعة الأولى يناير ١٩٩١ والطبعة الخامسة إبريل ١٩٩١ .

رقم الإيداع	١٩٩٣ / ٢٣٩٩
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-3971-2

٢ / ٩٢ / ٦١٩
طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

■ المــؤلف ■

● المؤهلات :
- ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة ١٩٥٠ .
- دبلوم الدرسات العليا فى الاقتصاد السياسى من جامعة القاهرة .
- دبلوم الدرسات العليا فى الشريعة الإسلامية من جامعة القاهرة .
- دبلوم العلوم الاقتصادية والسياسية من جامعة بون بالمانيا الغربية ١٩٥٩
- دكتوراه فى الاقتصاد والتنظيم والإدارة من جامعة بون بالمانيا الغربية ١٩٦١

● قبل الجمهورية :
- مستشار المفوضية اليمنية بالقاهرة ونائب مندوب اليمن الدائم لدى الجامعة العربية (١٩٥٠ - ١٩٥٥) .
- قائم باعمال المفوضية اليمنية بالمانيا الغربية (١٩٥٥ - ١٩٥٩) .
- وزير اليمن المفوض فى السودان (١٩٥٩) .
- مستشار اقتصادى لملك اليمن بدرجة وزير (١٩٦٠) .

● بعد الجمهورية :
- نائب رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ووزير الخارجية ووزير الاقتصاد والثروة المعدنية .

● اوسمة :
- وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى من رئيس جمهورية
(١٩٥٩) .
- وسام الأرز الوطنى من رئيس جمهورية لبنان ١٩٦٩ .

